المادية النقدية الفرنسية

وأثرها في تشكيل
الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر

عماد علي حمد

أستاذ الفكر السياسي الأصولي

جامعة تكريت - كلية العلوم السياسية

المادية النقدية الفرنسية
وأثرها في تشكيل الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر

اسم الكتاب:	المادية النقدية الفرنسية
اسم الكاتب:	عماد علي حمد
المراجعة اللغوية:	المكتبة العربية
تصميم الغلاف:	المكتبة العربية
الطبعة:	الأولى
رقم الإيداع:	0000 / 2025
الترقيم الدولي:	978-977-0000-00-0

Gmail	almaktaba79@gmail.com
facebook	Facebook.com/almaktaba79
	01030365801 – 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

المادية النقدية الفرنسية

وأثـــرها فـــي تشكيـــل
الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر

عماد علـي حمـد

أستاذ الفكر السياسي في جامعة تكريت
كلية العلوم السياسية

3

الإهـداء

إلى روح والديّ رحمةُ الله (علي حمد خلف سيّد علي)

إلى روح والدتي حفظها الله(خلفه ابراهيم عوض)

إلى كُلّ قطرة دمّ زكية سقطت في أرض فلسطين المحتلة

إلى شهداء ابطال المقاومة الاسلامية

صدقة جارية في سبيل العلم

المقدمة

أيكولوجية القياس المادي أدلج فكرّ قيمي قياسي مثلّ حالة من اللاوعي في كينونة الفرد الوجودية، الأفكار تؤصل حالة من المعنى واللامعنى في آنّ واحد تفضيّ دلالات غائية في بيآنّ معالم تأثير وأثر الفكر البنيوي في نسقّ احادي الأصل، يتناول في مضمونهُ معانّ ودلالات المادية، يمكنّ ملاحظتها من خلال قيآّس الفكرّ الكلي والجمعي للمجتمع، فكلّ فكرة نابعة من الذات الإنسانية هيَ دلالات إلى المادية أصلتّ أبعآّد قيمية ثقافية.

إسقاط النقد البنيوي على الواقع يتمثل فيّ افول الفكر المادي إعلان مُسبق لانحدار الإنسانية إلى سيآّق الدونية وما ينجم عنها من ارهاصات حتمية الوقوع في داخل الأنا الفردي، التنبؤ بالحدث يستدل فيه إلى تضآّد الزمان والمكان مع الاخذ بالقياس الكمومي(الزمن الكوني) كفعل تؤثر على سلوكيات الذات القبالية[*1]، استبعاد الكينونة الفردية للانا الذاتي، تأثيرات مادية صادرة عن تجسيم معنوي (سياسات المعنى)، لكل لكرة اثر ترتبط ديناميا في نفس القدر على للصراعات التي تحدث داخل النفس البشرية تعرف (المؤثرات السيكولوجية)، لا سيما إن البناء السينمائي حيث يشكل لواحق مورفولوجيا، اثرت على المستوى الأخلاقي الفردي، إذا أصبح تفسير اي حدث ينبع من اخلاقيات كل فرد وكيف يرى في تلك مبررات حتمية للرؤى وما يفضي عنها

(*) القبآّلة أو الصوفية اليهودية: فرقة يهودية تؤمن بآن التواصل مع الاله (الرب) من خلال اتحاد الذات الفردية مع الذات الالهية.

ينظر: يورغن هابرماس، الفلسفة الالمانية والتصوف اليهودي، ترجمة: نظير جاهل(الرباط: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥)، ص31-36.

هذا السلوك من مواقف تختلف بين الحين والآخر على نفس الحدث أو عن حدث مغاير في مضمونة الفكري السائد داخل اللاوعي.

ما بين المادية النقدية الأصولية الصهيونية والمادية النقدية الأصولية اليهودية، هنالكَ ثمة أفكار مترابطة ومتشابكة فيما بينها لها دلالات عنيفة في فكرة الفرد اليهودي وما يترتب على تلكَ الفكرة من أثار على الفرد اليهودي في داخل "إسرائيل" وخارجها مؤمن فيها أو رفض لذلك البناء المادي(كينونة الدولة)، بُعد للاهوتي أصلّ تداعيات مادية ملموسة في فكرة الافراد، الأمر الذي جعلّ اليهود جميعًا امام معضلة هشاشة الفكر اللاهوتي وسطوة الفكر المادي وما قد يترتب عليه من نتائج تؤدي إلى سلبّ المعنى القيمي للذات اليهودية في العالم، وهذا ما يخشاهُ المتدينين اليهود وما تجهلهُ الأصولية الصهيونية في محاولة إحلال مشروعها الاصولي بالرغم من النتائج التي من الممكن أن تؤدي إلى انهاء الوجود الذاتي (المعنوي) اليهودي في العالم.

أولا: أهمية الدراسة

تظهر اهمية دراسة من خلال موضوع الدراسة (المادية النقدية الفرنسية وأثرها في تشكيل الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر)، الذي تناولّ في طياتهُ الأفكار القيمية الذاتية الفردية الفرنسية وكيف تعاطى معها المشروع الاصولي ككلّ، حيثُ عملت الأصولية الصهيونية على توحيد الصف اليهودي على رؤية واحدة من عبر تبنيّ رؤى وسياسات ترى فيها إنّها محلّ خلاصّ للتناقضّ الكامنّ في أصول الفكر "الإسرائيلي"، ممثلّ بخطوات ذات منحى واحد مثلما فعلتّ الثورة الفرنسية وكيف انسلختّ من الأفكار المسيحية، وقياس هذا التأثير على المجتمع "الإسرائيلي" والنظام السياسي في داخل "إسرائيل" والنتائج التي يفضي عنها هذا الجدل المادي في إعادة تشكيل أفكار سياسية "إسرائيلية" جديدة بعيدة عن التعصبّ اللاهوتي، وما يبرهنّ الوهنّ الكامن فيّ مشروع قامّ على فكرة للاهوتية، لكنّ سرعان ما لبثّ أن دحضّ تلكَ الأفكار.

ثانيًا: إشكالية الدراسة

تنطلق مشكلة الدراسة من تقوقع الأطر الفلسفية المادية الغربية بصفة عامة والفرنسية بوجه الخصوص وما يلاحقها من تأثيرات مباشرة على الفرد كرؤية بنيوية، لأنّ الفرد اليهودي يختلف فكريًا من حيثيات المعتقد مع الفرد المسيحي والشعب الفرنسي مختلف جذريًا عن مجتمع الشتات "الإسرائيلي"، وعليه فأنّ الإشكالية طرحة عدة تساؤلات تحاولّ الإجابة عليها، تمثلت فيما يلي، هيَ:

1. ماهية الأفكار المادية الفرنسية.
2. ماهية المجتمع الفرنسي، وما الأفكار التي تعرضّ لها.
3. جدلية الفكر المادي الأصولي اليهودي.
4. جدلية الفكر المادي الأصولي الصهيوني.
5. أثر الفكر المادي على المجتمع "الإسرائيلي"، وما التداعيات الفكرية على بنيوية الفكر الفردي.

ثالثًا: فرضية الدراسة

انبعاثّ الفكر الإسقاطي الأيكولوجي تأصلتّ في معانّ الاجتزاء اللاهوتي للجماعات الأصولية اليهودية التي ترى فيّ إنّ انبعاثّ الفكر الاصولي الصهيوني ناجمّ عن تأثير الفكر الغربي – الفرنسي، الذي عمل الاخير على إعادة ادلجة الأفكار المادية من أجل تأطير تصورات جديدة من شأنها أن تؤثر في الوعي الذاتي للفرد في داخل "إسرائيل"، حيثُ اضحى الفرد فاقدّ للمعنى والوجود من حيثيات دلالات القياسّ الكلية كرؤى أصولية الهدف منها سلخّ الفكر من الفرد أو سلخّ الفرد من الفكر، لتكُنّ بداية تدشين معتركّ أصولي جديد محتدمّ بين الفرق الأصولية.

رابعًا: اهداف الدراسة

وضعت الدراسة من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل في: معرفة ماهية المادية النقدية بصورة عامة وما يكتنفها من غموض، ومن ثم العمل على معرفة أوصر الربط بين المادية النقدية والفكر الفرنسي والفكر الفرنسي وما المادية النقدية وحداثة المجتمع "الإسرائيلي" والفكر "الإسرائيلي" المعاصر، فضلاً عن معرفة ما هيَ دلالات المادية النقدية الفرنسية في داخل الفكر "الإسرائيلي" المعاصر، من خلال معرفة التأثير المباشرة على الرؤية اللاهوتية اليهودية في داخل المجتمع اليهودي في داخل الاوساط الأصولية داخل "إسرائيل".

خامسًا: منهجية الدراسة

تعتمدّ الدراسة على مجموعة مناهج يستساغ من خلالها البحثّ العلمي، فقدّ أستخدم المنهج التاريخي من أجل سردّ الاحداث التأريخية المتسلسلة وتوظيفها توظيف علميّ دقيق، بغية معرفة المادية النقدية كمعنى عام وما هيَ جذورها ومالاتها في المجتمع الفرنسي قبل المجتمع "الإسرائيلي" في نشأتهُ الاولى، أما المنهج التحليلي؛ فقد استخدم في تحليل تلكّ الاحداث وبيانّ ما هيتها وكيفّ أثر وتأثر الفرد في داخل "إسرائيل" بالأفكار المادية النقدية، وما السبلّ التي استخدمتها الجماعات الأصولية في داخل "إسرائيل" لتفاديّ تشظي المجتمع "الإسرائيلي".

أما المنهج القارن، فقد استخدم لدراسة حالة مجتمعين متناقضين في المعنى والوجود، لكن الدلالة الغائية من الدراسة تتعاطى مع تأصيلات التأثير بين كلّ مجتمع من خلال التأثيرات المباشرة في داخل المجتمع "الإسرائيلي" وما مدى التأثير اللاحق في بنيوية التفكير اللاهوتي في "إسرائيل"، لمعرفة ما مدى تأثر الفرد الاصولي بالأفكار المادية وما هيَ النتائج المترتبة عليه.

ملاحظة: إنَّ ذكر لفظ دولة "إسرائيل" أو الدولة "الإسرائيلية" لا يعني الإعتراف بها دولة إنما مقتضيات الدراسة تطلبت ذلك، وعند كتابة كلمة دولة وعدم تنصيصها بالنص ("") تأتي بمعنى الإعتراف فيها دولة وهذا ما يلاحظ عند كتابة فلسطين؛ ويلاحظ ذلك ايضًا عند ذكر عبارة دولة فلسطين أو الدولة الفلسطينية على خلاف ذكر الكيان الصهيوني.

الفصل الأول
ماهية الأفكار المادية

محاولة حقيقة في معرفة ما شكلّ الأفكار المادية من خلال البحث عنها عبر تقصي الرؤى الذاتية والفكرية للمفكرين الذين تناولُ تلك الأفكار بناءً على محددات ذاتية أوجتّ بُعد غائي دلالي، وكيف تم إسقاط تلكَ الأفكار على أرض الواقع، وما الشكلّ الذي افضت اليه عبر إظهار الجدل الكامنّ في فكرة الإنسان الوجودية، وما الأسس والمعايرّ القيمية التي انتقلت من الفكر الفرنسي إلى الفكر "الإسرائيلي"، وهذا ما سوف يتم التطرق إليه في هذا الفصل، كما مبين أدناه.

أولا: الدلالات المادية

الرؤية المادية الفكرية؛ أصلتّ أبعاد وجودية قيمية في كينونة الفكر السياسي لدى الفرد اليهودي، إذ يرى اليهودي والصهيوني على حد سوى إن الأنا الفردي ينطلق من الرغبات والمسلمات المطلقة التي يعتقد فيها الفردّ دونّ سواهُ، من خلال تكوينّ لحظيّ يحتكمّ على التجربة كمعيار ساندّ وثابتّ في الأطُر القياسية، وما يُحركّ الفردّ تجاهّ الاشياء المحيطة فيه، هيَ الصورة الاولية التي رسمتها الذاتّ البشرية تجاه تلكّ المسلمات الفكرية، إذ تأخذ حيزّ أكبر في ذهنّ الفردّ مما تساعد على إيلاج حالة جديدة للإنسان، تُكيفّ الرؤى من خلالها مما يؤثر طرديًا على الفردّ مجتمعيًا.

جدلية الواقع أصلت حرية فردية ترتبط ديناميًا بالذاتّ الفردية كرؤية للاهوتية، فأنّ كُلّ تحولّ فكري ينطلق من التجربة الفردية للفرد في غياهب المجتمع المدني، مما يساعد على تأطير مجتمع سياسي يؤمنّ بالمفاهيم الديمقراطية، تدشنّ فكرة الفرد في حلقة دائرية مفرقة تؤدلج أفكار معنوية مُتسمده من الجينات الوراثية، ليسّ للفردّ إرادة فيها تتمثلّ في (العمر والجنس والطول ولون البشرة...)، وما يندرجّ في أطر الماهية الإنسانية اللاحقة بالوجود المادي.

الوعي لدى الفرد متجذر في المنطق الارسطي القديم، يتمثلّ في منطق العادات التي يعتاد عليها الفرد، حيثُ يستمدها الفرد من خلال تعاقب الزمان، أما العائلة والقبيلة هيَ المصدر المباشر لتلكّ الأفكار، وعليه فأنّ تأصيلّ الوعي مرتبط في المجتمع وما تأثر فيه من أفكار أولجتّ تصورات مغلوطة، وكيفّ أطر هذا التأثير على الافراد أو الفرد في أعماق الروح الفردية، أي عملية تقوم على اساس هدم وتفكيك العادات السيئة تجابهه خلافات وشروخ عميقة تؤثر في المجتمع والدولة ككلّ، خاصةّ إنّ كانت فكرة الوجود تقوم على غطاء مادي ينطلق منهُ الفرد اليهودي في تحكيّم الرؤى الذاتية، حيثُ أظهرت تشوهه فكريّ في البناء السيكولوجي للدولة من خلال الممكناتّ المادية التي أثرت على البناء الأيكولوجي.

واقعية جان بول سارتر[*] ترى في التعاون والاخاء والاتفاق في المجتمع ككلّ لا تندرجّ عنها نتائج حقيقية واقعية، فأنّ الاصل هنالكّ فكرة يعتقدّ فيها الفردّ عليه أن ينسلخ منها، فأنّ البقاء لمدة أطول تؤدي إلى جمودّ فكريّ شأنهُ شأنِ أي جمود عقديّ (ديني)، من خلال الاستئثار في التفسير المادي للرؤية اللاهوتية، التصادم والتنازع هوَ الواقع المسلمّ فيّه وما غيرهُ هوَ فكرة طوباوية بعيدة عن الواقع في صراع التنقل بين الفكر التقليدي الريفي (الإنساني) والتحضرّ (التمدن).

فكرة كمال الوجود من خلال النقائض التي تقوم عليها المادية الإنسانية أعطت غايات دلالية الهدف منها توطين ابعاّد قيمية سائدة في فكرة الفرد الوجودية تعمل على ترسيمّ اطر قياسية حدية ذات صبغة في معناها الوجودي، خاصة إنّ الإشكالية المادية تتمثلّ في ديالكتيك مفهوم (المساواة) و(العدالة) و(السعادة) كرؤية بشرية تعملّ على إرساء أفكار لا ترتبط بالرؤية الواقعية التي ينطلق من خلالها الفرد في بناءهُ الفكري نحو العالم؛ اليهودي[1].

سيادة الوجود؛ تتمثل في تقبل الفرد للتأريخ بشتى دلالاتهُ ومعانيه، إن كانت غائية دلالية أو تجريبية عينية، ما يؤثر في الحقيقة الصبغة المؤطرة الفكرة الذاتية، تعد بناءة للأفكار الراسخة في التفسيرات السادة، تكنيك يخضع له

---

[*] فيلسوف فرنسي، يعد من اشهر فلاسفة القرن العشرين.

ينظر: كامل محمد، اعلام من الفلاسفة: جان بول سارتر – فيلسوف الحرية(بيروت: دار الكتب العلمية، 1993)، ص19.

[1] جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني: مع مناقشة بين سارتر والكاتب الماركسي م. نافيل، ترجمة: عبد المنعم حنفي(بيروت: منشورات الجمل، 1964)، ص45-61.

المتدينين شانهم شان الملحدين (اللادينية)، باعتبار النزعة اللا دينية لغة سائدة في كينونة الكون وتأصيل لموت المعنى القابعة في اذهننا (كأفراد)، الهدف من يلاجها تأطير بنيوية الفكر المادي(الإنساني) الساع إلى تشويه التصورات بأشكالها المختلطة، حيث يسعى المؤمن أن يعزز ايمانه والكافر يؤكد كفرهُ بأي فكرة كانت(التعاليم الإلهية والإنسانية) والقومي يفرض وجود ثقافة معينة، وهذا ما تعمل علية الأصولية الصهيونية واليهودية على حد سوى.

إلاّ إن الواقع اكثر تعقيدًا مما يبدوا عليه، لان النجاح على المستوى السياسي في داخل "إسرائيل" أدى إلى فشل على المستوى الاجتماعي ينجُمّ عنهُ تأثيرًا مباشر الوازع الوجودي (المجتمعي)، افضى إلى صراع لا يمكن التنبؤ في وجودهُ أو الشعور به بأي قدر ممكن، وهذا ما يعرف باسم "فن التجمعات العملاقة" الذي عملت عليه الأصولية الصهيونية لإحلال معنى وجود مبهم لأطر قياسية، الوهن الكامن في الأماكن التي اختيرت من قبل المتدين اكثر منها من السياسات التي انتهجت.

الصراعات الكامنة لدى العرب (شعوبًا على اقل تقدير)، تديرها مؤثرات غير ملموسة تتمثل في الشعور الرافض لتلكَ التجمعات التي اوجدتها السياسات الدولية في بقعة معينة داخل الشرق الأوسط بدلا من دولة فلسطين عرفت باسم "إسرائيل".

الوجود اليهودي لا يشكل عداء مباشر ضد اليهود بقدر ما إن السياسات التي انتهجتها القوى العالمية في احاول شعب(مزيف) بدلا من شعب فلسطين، أنتج صراع وجودي حتمي عقدي قيمي ثقافي، في نفس المعنى لو حدث مثل

هذا الفعل البنيوي في بلد مثل (هولندا) وتم الغاء وجود شعب اوربي يديّن بالمسيحية ووضع بدلا عنهُ شتات (يهودي)، فإن النتاج الواقعي لما يحدث سوف يقع بالمثل، لكن ذات نتائج عكسية، نجد إن القوى الاستعمارية العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية - المملكة البريطانية المتحدة)، تتخذ كل منهما موقف مناوئ للكيان الصهيوني والعرب يتأطر موقفهم طرديا بناءً على هذا الافتراض، وهذا هو الإعتراف الجدلي للمادية التاريخية، حيث لا يمكن لك أن تقف على الحياد وتناظر الأشياء من منظور اخلاقي (غير عقلاني) إن لم تكن جزء من الصراع المادي أو يؤثر على المعانّ الجودية في خضم الصراعات المادية الأصولية، من حيثياتّ القيّم تأثيرات المادة تؤدي إلى إحلال السلوك الفردي الشعبوي الكآمنّ في فكرة المجتمع القياسي إذ يتأثر البناء الفكريّ[1].

النظرة المنطقية العقلانية تؤثر على التجليات الروح الفلسفية التي يصل إليها المؤمن من خلال الاجتهاد وليس العبادات، اذ تتمثل في معرفة الإله من خلالها رؤية ايمانية، خاصة إن لجة الايمان يشكل فعل غيبي دلالي الهدف منه إظهار مواطن الجدل الاصولي في دلالات المادة البازغة من روافد المعنى، حيث يؤثر المعنى في البنية النسقية الوجودية التي ترتكز عليها العلة قبل المعلول، فما يعتقد فيه الأفراد في شتى اصقاع الأرض هو ايمان مزيف بين فرد واخر.

---

[1] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الاخير، ترجمة: فؤاد شاهين واخرون(بيروت: مركز الأنماء القومي، 1993)، ص29-31.

فكرة وجود إله أسمى من الفوقية، تدشن مرحلة جديدة في بيان التأثير الناجم داخل القيم المجتمعية المتضادة، لا سيما إن "رينيه ديكارت[*] نادى بأسبقية الفكرة على المعنى، وان كانت المعاني تجسد مادة في كينونة الوجود الكوني ككل دون الاستدلال بأن الافعال لواحق فكرية خاصة بكل فعل وتشترك في بنيتها الوجودية، وعليه فعلى اليهودي أن يدافع عن الأحكام الإلهية في النصوص الشفوية المقدسة دون السماح للذات الفردية إن تؤثر عليه ظاهريا، لان القيم اللاهوتية (الدينية) السائدة في البنية الفكرية للأفراد تأثرت بشكل مباشر بالأفكار المادية التي اوجدتها الأصولية الصهيونية في ظل إن معرفة الإله تحقق الوجود الفعلي للفرد لأن علاقة اليهود بالإله هي اسبق من الشتات ولاحقه له في التيه اليهودي.

مزج الوجود مع الحداثة المزيفة ساعدت على الغاء المفاهيم الراسخة في داخل المجتمع، مما جعلت الفرد يسير في دروب مظلمة يجهلها الفرد ولا يستطيع أن يستدرك الأصل من وجوده في داخلها، فقد عملت حركات التنوير على إشاعة فكرة ازدواجية المادة والمعنى عبر توظيف الأفكار المادية(الإنسانية) محل الأفكار اللاهوتية (الدينية) المقدسة، بذلك تشرعن لتأصيل ذرائع الهدف منها توطين دلالات للوجود الفردي، سلخ الأفراد من تعاليم تؤطر إطار يساعدهم على تمكين قنوات تواصل بين الفرد(رؤية ذاتية) والتعاليم الإلهية

(*)عالم وفيلسوف فرنسي، ولد في العام 1596 وتوفي سنة 1650، أختص في مجال الرياضيات والفيزياء والفلسفة.

ينظر: رينيه ديكارت، العالم أو كتاب النور، ترجمة: اميل خوري(بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، 1999)، ص7-11.

(رؤية مادية)، وان كان الأصل يشكل خلاف متجذر في بنائه السائد عبر دهاليز الأفكار التي اوجد الإنسان من خلالها، فقد استساغت الأصولية الصهيونية ذلك عندما اعلنت عن وجود "إسرائيل" في منتصف **1948**، لتكن كل الحجج اللاهوتية ما هي إلا ذرائع مادية الغرض منها تفويض الفرد ليحل محل الإله[1].

مركزية الوجود، تنطلق من الوجود البشري وما يقوم عليه من دعائم من شانها ان تمكن الفرد بأن يمثل فاعل وحدوي في وجود مترامي الأبعاد، يلاحظ كل شيء من خلال التجربة التي ينطلق من خلالها نحو قياس دلالات المعنى والمادة، الحداثة تشكل معضلة وتهديد للوجود البشري، حيث لا يمكن ربط الإنسان مع العالم والحداثة، بالرغم من إن الإنسان سابق للعالم وللحداثة من حيثيات الوجود، إلا إن الصلة الفعلية تتجسد في تأثير العالم والحداثة في الفرد وتشكيله الفكري.

التأثير المؤسساتي في داخل الدولة يحدد مستويات تأثيرات الفرد في الهيكل التنظيمي للمؤسسات عبر فاعليته داخل النظام السياسي، يرتكز دوره بناء على الاختلاف اللغوي والثقافي في داخل تلك المؤسسات التي تجعل من الانتقال من حالة إلى حالة جديدة رهينة تقبل الفرد الاختلافات ومدى نجاعة النظام السياسي القائم على مزج الاواصر المختلفة في داخل المجتمع، هذا الارتباط يتعرض الضربات محطمة له لا سيما في المستوى الفكري، إذ لا يمكن تصور وجود صلة ترتبط بين مادة ومعنى مختلفة في كيانها الفكري، حالة من الارتباك تؤثر

---

[1] ديتر تسمرلنغ، النهايات: الهوس الوجودي الألفي، ترجمة: ميشيل كيلو وزياد منى(دمشق: دار قدمس للنشر، 1999)، ص158-163.

بشكل مباشر داخل البنيوية المؤسساتية، بعد إن توظف جهودها في فقدان الفرد للدور الأساسي الذي وجد من تطلع واستحداث ادوار جديدة لا يتم اختيارها سلفا تعمل على تحييد الفكر الإنساني.

مصطلح الفرد العالمي، تشير إلى افتراضات إن وجود هنالك العديد من الأفراد في شتى بقاع العالم يعتنقون أفكار مختلفة (دينيا وثقافيا... الخ)، هذا الاختلاف أمتد إلى داخل المعتقد الواحد، حيث نجد إن الشريعة (اليهودية)فيها معتقدات جزئية تفصيلية مختلفة ومتضادة في نفس الوقت، هنالك خطوط عامة ذات اطر فيصلية (اصولية صهيونية واصولية يهودية)، ينقسم من كل واحده أقسام فرعية كثيرة، ابرزها (الطائفة المسيانية)وهي جماعة يهودية - مسيحية، ترى بأن الخلاص الالهي (الميسيا) يرتبط بالخلاص المادي بالخلاص المعنوي، لان القيم المعنوية تؤثر في الفرد اليهودي اكثر منها ماديا، ومن ذلك حصلت على وفاق متكامل بينها وبين الرؤية الأصولية الصهيونية.

ترى الطائفة الحسيدية بأن الأفكار المادية تؤثر بنفس القدر التي تؤثر فيه الأفكار المعنوية(ذات صبغة المعنى) في الفكر الإنساني، وان القبول بالأفكار التي جاءت بها الأصولية الصهيونية لا يخرج عنها وهذه لرؤية اولجت أفكار سابقة في مدلولها الفكري في مسألة الخلاص والفناء الأنطولوجي، واخيرا ترى (طائفة الحريديم)، بأن المادة تؤثر بدرجة كبيرة على المعنى، خاصة إن المادة كفكرة تمثل ثوابت لا يمكن الخروج عنها بأي شكل يمكن، فكل فكرة جدلية للاهوتية هي حقيقة مطلقة في وجودها والخروج عنها بشكل زيف لا يمكن السكوت عنها، الإلتزام بالنصوص أصل مادي يضفي معنى وجودي للفرد العالمي.

هذا ما انطلقت منه في رفض كل الأفكار الأصولية الصهيونية التي ترى بها بأنها بدعة وجودية لا أصل لها(هرطقة)، وكل قول سائد في المجتمع يسود بدلا من الأفكار الحقيقية التي ترى في الفرد هو الأصل في كينونة الوجود، لأن الفكر الاصولي يعمل على الغاء هوية الفرد المادية، مما يؤدي مع مرور الوقت إلى انهيار الفكر الإنساني المادي(رؤية في اللاهوت - المعتقد)، بعد أن يحلّ محله أفكار مادية (إنسانية) مشوهه الهدف منها تحقيق منفعة وقتية ذات اطر قياسية مادية[1].

المعرفة سمة مسبقة للفعل المادي في الوجود الكامّن في داخلّ الفرد، إسقاط التصورات العينية على الرؤى اللاهوتية الفردية أو الجماعية بصورةً واحدة ذات معنى لدى الفكر الفردي،إذ لا يُمكنّ معرفة تصور مُعينّ تجاه أي قضية مهما كانتّ دون معرفة تصور الاخر تجاه تلكَ الرؤية في مضمونها الفكري، خاصةً إنّ كان ذلكَ الفرد ينتمي للجماعة الفردية ذاتها، من أجل أن يكون استقصاء الحقيقة نابعّ من براثيم الفكر المادي، مع استحالة وجود ماهية عالمية للأفراد في عالم متراميّ الابعاّد، الاختلاف لا يُشملّ سمة تفريق بقدر ما هوَ يُجسد قيّم تجريبية ذات أطر غائية تُحدد سلوكيات الافراد في داخل اي مجتمع.

التحقق من الوجود أقرب من التحقق من الموقف، يلاحظ الإنسان وجودهُ من خلال الأماكن التي ألف نفسهُ فيها بعيدًا عن كل التعقيدات المادية الرامية إلى احلال النزعة الدونية في غياهب الفكر المجتمعي الاصولي (كفكرة)، إذ لا

---

[1] صامويل هنتغنجتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط2(بغداد: دار سطور، 1999)، ص93-97.

يستطيع أن يهرب المرء مخاوفة بقدر هروبهُ من الحقيقة التي يعلمها، البوح محاولة فعلية للتخلص من المعوقات التي من شانها ان تُعكر صفوا حياة المرء ايكلوجيا، لذلك نجد المادية العالمية هي المهيمن على التفكير الذاتي للذوات في دائرة تفاعلهم(العالم - المجتمع - القبيلة - العائلة - الذات)، فكل قسم يمثل عالم مختلف عما كان عليه بالنسبة لكل فرد عن آخر، بناء على قدرتهُ في التفاعل وما مدى فاعلية التفاعل الوحدوي للفرد، عبر الاستدلال بواقعية قياسية ساعدت إلى حد ما اللحد من امكانية الولوج إلى افاق جديد من شانها ان تؤثر في الفكر المادي الكلي لطبيعة الإنسان.

مواقف الأفراد تتغير تبعًا للمنفعة التي قد يطالها فرد دون اخر، حيث عملت الأصولية الصهيونية على تحريف النصوص التشريعية التوراتية (الناموس) من وجهة نظر اصولية يهودية، فقد قامت باتباع شروحات التلمود(التناخ)بهدف تغيير المعان الأصولية لنفاّذ فكرتها المادية نحو العالم، وما يرافق تلك الرؤى من شروخ عميقة ذات اثر بالغ في الوجدان الفردي اليهودي (الرافضين)لنا يعرف باسم "إسرائيل الحالية" أو الكيان الصهيوني، لجّة الوعي تكون متأثرة بالمعنى دون الحولّ عن ماهية المعنى، لان الواقع الطبيعي يختلف عن الواقع الإنسان وهما متضادان في نفس المعنى والغاية[1].

افول الفكر المادي إعلان مُسبق لانحدار الإنسانية إلى سيآّق الدونية وما ينجم عنها من ارهاصات حتمية الوقوع في داخل الأنا الفردي، التنبؤ بالحدث يستدل فيه إلى تضاّد الزمان والمكان مع الاخذ بالقياس الكمومي(الزمن الكوني)

---

[1] جان بول سارتر، مصدر سبق ذكره، ص77-82.

كفعل تؤثر على سلوكيات الذات القبالية، استبعاد الكينونة الفردية للانا الذاتي، تأثيرات مادية صادرة عن تجسيم معنوي (سياسات المعنى)، لكل لكرة اثر ترتبط ديناميا في نفس القدر على للصراعات التي تحدث داخل النفس البشرية تعرف (المؤثرات السيكولوجية)، لا سيما إن البناء السينمائي حيث يشكل لواحق مورفولوجيا، اثرت على المستوى الأخلاقي الفردي، إذا أصبح تفسير اي حدث ينبع من اخلاقيات كل فرد وكيف يرى في تلك مبررات حتمية للرؤى وما يفضي عنها هذا السلوك من مواقف تختلف بين الحين والآخر على نفس الحدث أو عن حدث مغاير في مضمونة الفكري السائد داخل اللاوعي.

وجود الإنسان ارتبط بضرورة العيش بجوار الأفكار التي ليس لها معنى من وجهة نظر الفرد (اليهودي والصهيوني)، بالرغم من إن ادعاء الأخير بأحقية وجود في داخل دولة فلسطين وتأسيس دولة تعرف باسم "إسرائيل" على هرطقة تاريخية وللاهوتية (دينية)، نجد إن العداء تجاه العرب والمسلمين على حد سوى غير مبرر ويأخذ نزعة احلالية تهدف لإلغاء وجود الاخر (المضطهد)، وهذا ما قامت بالعمل عليه الأصولية الصهيونية في داخل الكيان الصهيوني، خاصة عندما بررت قتل ما لا يقل عن (**43** ألف فلسطيني - اعزل) دون مسوغ حقيقي وان لا يمكن أن يكون هنالك مبرر يدفع إلى اراقة دماء (الابرياء الفلسطينيين).

شكلت ردت فعل عكسية على عمليات طوفان الأقصى، فقد قام الأخير بأطلاق سراح الاسرى اليهود ممن يعيشون على حدود القطاع من يهود (السفرديم)، غير مكترثين (جيش "إسرائيل") للرؤية المادية التي تدعوا إلى احقية وجود الشعب الفلسطيني الذي تم ابادتهُ في قطاع غزة، سوغت الأصولية

الصهيونية أعمالها وفق الرؤية الإلهية وهي رؤية تمثل نقيض صارخ للنظرية الافلاطونية وتقف بالضد من التعاليم الإلهية (اليهودية - المسيحية)، إذ يجب النظر إلى معالم الوجود بأنها أصول فكرية مادية دعت إلى وجود فرد ذو أفكار هادفة لإرساء دعائم القوى المجتمعي العالمي دون السعي إلى الغاء وجود فكرة اي فرد بغير حق، وهذا الأمر لا يجعلنا أن نقوم بغض النظر عن معنى الحق وان اختلفت ماهية هذا الحق في العالم ككل.

الحق؛ ما تتفق عليه الرؤية الوجودية المادية الحاكمة للعالم، بأن العالم عبارة عن كتلة من عدم التجانس الفكري والمادي في آن واحد، وهذا ما يتعلق في مسألة تقبل الاخر وعدم التعدي على وجودها الثقافي والفكري والمادي، ويستدرك بمثل ذلك بدلالة الحرية، بالرغم من إن الحرية قاصرة على جمع من الأفراد وهذا الأمر يجعل من الحرية عامل كبح وجودي يجسد معوق مادي جدلي، ينطلق منه تفسيرات لا ترتبط بالمعنى ولا في الأصل بأي أصل مادي، لأن الحرية شوهة واضحت تأخذ طابع للاهوتي (يهودي- صهيوني) اكثر من كونها مفردة مجردة من فحواها القيّم، فكل فكرة ترفض الصهيونية وتمثل حاجز ضد المشروع الصهيوني تكون بمثابة استبدادية، وعليه فإن الأفكار الأصل فيها يظهر من معناها، والمعاني لا تعد سابقة ثابتة في الوجود لان الوجود لحد ذاته متأرجح بين الحقائق المزيفة[1].

[1] مارتن هيدجر، الفلسفة: الهوية والذات، ترجمة: محمد مزيان(تونس: كلمة للنشر والتوزيع، 2015)، ص122-126.

منهج التحديث بعد من اكثر المناهج شيوعًا الذي استخدمه الأصولية الصهيونية في بنيتها الفكرية بعدما تأثرت بالتغيرات التي طرأت على الفكر الغربي، خاصة إن نواتها كانت قد خُصبت في داخل الفكر المادي الغربي، إلا إن براثيم الاختلاف لم تكن وليدة اللحظة إنما ظهرت سياسات ذات نسق بنيوي رافض لكل اشكال التقليد الغربي بمعناها الوجودي، من خلال التركيز على التعاليم اللاهوتية بأنها تشكل نقطة مرتكز وجودي، أدت إلى أفول واضح عن الالتزام بالدين(رؤية عالمية دينية) وتخصصت في الأصولية الصهيونية التي رأت بأن استخدام اللاهوت يشرعنّ لها حيّز يُمكن النفاّذ من خلالهُ لترسيم الغايات الأيديولوجية الصهيونية.

الهوية العالمية تأخذ منحى أبعد من القومية واللغة والثقافة وتؤصل وجود مادي جديد يخضع له الفرد في اطر معينة تجعل من الوجود الفردي حالة عرضية اكثر من كونها حالة ثابتة كما تراها الاصوليات أو حتى الرؤى الدينية، اي محاولة هادفة للنجاة من المخاطر المحدقة بالأفراد (التي تبنتها الرؤية الأصولية الصهيونية) تمثلت في تحديث المفاهيم وتغيير معانيها، لكن ما يشكل معوق أمام التحديث هوَ التغريب، إذ يجب أن يدخل الفرد حالة من الاغتراب تجاه المعاني المحيطة فيه(لاهوتيًا)، لما له تأثير على الذات الفردية، إذ تعزز تلك الرؤية الأصولية في تحديث المادة المستمدة من المعان المحسوسة مع ضرورة رفض كافة الارتباطات الفكرية بالأفكار (الإنسانية)،إذ تقوم الفرضية على رفض تجسيمات (سيميائيًا)، بمعنى اي عمل لا يتلائم مع بنيوية الفكر المجتمعي الذي يمكن من خلاله ان تنفذ التصورات نحو البيئة المستهدفة لا تعدوا إلا أن أكون

محض مغالطة مادية تسعى إلى تفكّك الفرد شيئًا فشيئًا عبر هدم الوعي الجمعي[1].

المادية التأريخية؛ أصلت ابعاد فكرية للوجدان التاريخي بدلالاتهُ التفكّيكية الرامية إلى احلال وقائع بنيوية ترتكز عليها الأفكار الوجودية التي يرى فيها الفرد محلّ مادي وجودي، إذ يُثار بين الحيّن والآخر تساؤلات حول إعادة التاريخ لنفسه، بالرغم إن الاختلاف يتمثل في الآلية التي يستعيّد بها الزمان سطوته الوجودية، إلا إن إعادة ترسيم معالم التاريخ أمر متفق عليه كحقيقة أنطولوجية حاولت الماديات إلى الغاءها بطريقة مختلفة إلا إنها عجزت حول الحلول لإفضاء سلوك نمطي فردي يقف امام المادية التاريخية، لم يقتصر الأمر على الأفراد حيثُ أمتد إلى الأفكار بعد أن عجزت بأن تُعيقّ من تعاقبّ الصيرورة الزمانية فقد أثبتّ إن المادية أمر يُعاد تشكيله باطر مختلفة وأكثر سلاسة من خلال استباقية البعد الزمني على المادة بكافة أشكالها (ماديا أو معنويا).

بغض النظر عن إثارة المصطلحات ذات الخصوصية التاريخية، الزمان والوقت (مثلا)، يشكل الحكم الفيصلي لكل تلك المفاهيم هو الفهم الناجم عن كل مصطلح وما يوحي عنهُ من قيمة أبستمولوجيا ترى في كل تشكيل مجتمعي فكري يقوم على مبدأ الديالكتيك، لكن التطبيقات الواقعية لمثل تلك الافعال أو حتى النظريات التي لمّ تجد منفذّ للتطبيق على أرض الواقع، اقتصرت على بعض المحأولات التي قامت بها الأصولية الصهيونية على اضفاء معان لها تأثير مباشر على الوجود الفردي عبر مزج المادة (الإنسانية) مع الرؤى اللاهوتية (الإلهية)

---

[1] صامويل هنتغنجتون، مصدر سبق ذكره، ص120-123.

من خلال وضع إطار استباقي للزمن عن طريق سلخ الزمن ماهيته الوجودية، بعد طرح فكرة (الميسيا)، لا سيما إنها تقوم على فكرة الانجيل في نهاية اليهودي وتحقيق الخلاص اليهودي، دون اعطاء اي اعتبار للمادية التأريخية وتجاهلهُ الصيرورة الزمانية التي ترى بأن الثوابت ماهية إلا أفعال وقتية لا تصل بالأفكار إلى نهاية مادية ترسم خلاص فكري (محدود) نتيجة تغافل الرؤى الأيديولوجية عن النتائج الحتمية عبر التأريخ، بعد أن اضحت محلّ خلال بين (الأصولية الصهيونية) و (الأصولية اليهودية)[1].

مبدأ الهوية، يُصاّغ غالبًا بأنهُ جزء من كينونة الوجود ككلّ، لكن الترسبات الفكرية التي خلفتها المادية التأريخية جعلت من الهوية اكثر تعقيدًا مما هيَ عليه، حيث اظهرت هوية عابرة للقومية وللحدود مثلت فواعل أوجدت نظم مختلفة (فردانية) بين مجتمع واخر وحتى بين الأفراد، انطلاقا من فكرة اجتزاء الزمن لأنهُ يُمثل عنصر وجودي قابع في مُرتكزّ التأريخ بكافة تأثيراتهُ الناجمة عن الارهاصات المادية في الفكر الإنساني.

بالرغم من إن المادة كرؤية تختلف كثيرًا عن المعنى في دلالاتها إلا إن الصلة الوثيقة التي تجمع بينهما تجعلّ من فكّ الالتبآس أمر عسيّر جدًا، إذ قام الفكر الاصولي في داخل الكيان الصهيوني محاولة ربط الفرد في هوية مزيفة (قومية)لمّ تكُن لها نجاعة حقيقية على أرض الواقع، لتعمل على إثارة هويات فرعية تُساعد الجماعات الأصولية توثيق الترابط داخل وخارج "إسرائيل" عرفت باسم

---

[1] مارتن هيدجر، الكينونة والزمان، ترجمة: فتحي المسكيني(طرابلس: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008)، ص649-653.

الهويات الفرعية (يهودي – صهيوني - إسرائيلي – سامري - عبري... الخ)، والعمل على وضع غطاء يشرعنّ تلك الهويات بمختلف مسمياتها عرف باسم (معادات السامية)، من هنا يُمكن القول إن الدلالة المادية في الفكر الإسرائيلي تقوم على مغالطة فكرية وهرطقة (بدعة) لاهوتية (دينية) [1].

ثانيًا: إسقاطات النقد البنيوي

الإنسان الذي لا يُشكّك في الحقائق الظاهرية لا يعدوا إلا أن يكون مُقلدّ لها، القدرة على التميز بين الحقيقة والخيال والخطأ والصواب مثلها مثلّ التميز بين الظلام والنور، فكل تصور في ذهن اي فرد مبنيّ على الحدس، عندما يذكر لفظّ ظلام يُشكل العقل تصور لحظي عن تشكلات هُلامية يشآر لها (باللون الأسود) وفي نفس الامر عندما نسمع كلمة نور يتبادر في اذهاننا (اللون الأبيض)، كأن يكُنّ السلام حكرًا على النور والصراع تتجلى معالمهُ في الظلام، إلا إن الحقيقة الثابتة تمثيل مُسبق لماهية الشيء نفسهُ، فقد يملئ النور بالظلام وتشرق الحقيقة من تجليات الظلام، بناءً على ما يعتقدوا الفرد تجاه اي شيء يُحيط فيّه من لواحق مادية.

اليقين يفندّ الحدس، التركيز على الرؤية المادية كأنها ثوابت وسابقة وجودية في العالم تجعل من مسألة تقبل الاضداد مسألة وقت لا أكثر، فإن الذرائع تمثلّ حقائق وجودية من شانها ان تُعكر صفوا حياة اي انسان يفكر فيها، بالرغم من إن احقيتها الوجودية تدعوا إلى البحث فيها للولوج إلى أعمق نقطة يمكن للفرد

[1] مارتن هيدجر، الفلسفة: الهوية والذات، مصدر سبق ذكره، ص30-32.

إن يصل إليها، اجتزاء الزمان يشكل نزعة تجريبية حدسية يشعر فيها الملاحظ لتلك الأفكار، الصمتّ فعل بنيوي ينسآّق المرء إليه عندما يجد التبرير اقل تكلفة من الجواب لا سيما إن تجليات الصمت في الروح الفردية ذات اثر بالغة على سلوكهُ السيكولوجي (الحدسّ)، تنآّط الافعال بكل اللوازم التي من شانها أن تُصير حالة العالم، مما ينتج عنها تصورات مغلوطة، خاصة إن بناء اي فكرة من خلال الاعتماد على اللاشعور يفضي إلى تشظي للروح الفردية، وهذا ما عملت علية الأصولية الصهيونية في مشروعها الصهيوني عبر إثارة المشاعر الجياشة لاستمالة الراي العام العالمي (ليهود - الشتات)، بهدف الحصول على فيزا اكبر عدد ممكن للرافضين لذلك المشروع الأصولي الاحلالي[1].

الافعال هيَ وحدها ما تحدد مكانة الفرد ووجودهُ، لا تؤثر الكلمات في تصيّر حالة الفرد وتغيرها بقدر ما إن تلكَ الأفكار تبقى حبيسة داخل الفرد، جدًا افتراض معكوس لما دعت إليه الصيرورة الهيجلية، علمًا إن الحدسّ قد يأتي متأخر في معرفة الذوات للأفكار الكامنّة في ذهنّ الفرد، يمكن للمرء أن يمارس حريتهُ في داخل المجتمع الذي يعيش فيه ويقوم بالشعائر الدينية دون سابق معرفة لتلك الحرية.

إذن الحرية أمر محسوس لا تستدرك من خلال الافعال، وإن اي محاولة للإفصاح عن تلك الحرية ماهية إلا محاولة لإسقاطها في قعر الظلام، فكل فكرة يؤمن فيها اي فرد بناء على رؤية جون ليكييه، وهذا نوع من التدبير بين العبد

---

[1] رينيه ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة: سفيان سعد الله(تونس: دار سراس، 2001)، ص30-32.

والمعبود وفق الإعتقاد اللاهوتي عن طريق التبصر ليصل من الرب والى الرب، لكن هذا الوصول لا يحدث إلا في حالة واحدة وهي أن يتحد الإنسان (الذات) مع الرب (الذات العليا)، انتصار الايمان الساكنّ في جوهر الروح على الايمان المعلنّ يعد بمثابة نصر مجتزأ من الرب.

وعليه؛ فقد ادعت الأصولية الصهيونية إنها حلت محلّ الرب لتصل إلى نور الحقيقة الذي من خلاله خلق المعجزات، بالرغم من إنها قامتّ على أسانيّد كاذبة لا تمتّ للواقع بصلة، اعتمادا على التأمل الذي يصل من خلاله الفرد إلى الرب، لان الرب يترك مساحة للفرد إن يتأمل الوجود، خاصة إن الايمان الذي يعتقد فيه الجماعات الأصولية اليهودية والأصولية الصهيونية لا يشكل محل خلاف وإن بذور الوفاق واضحة، فكل اصولية تريد أن تحقق الخلاص لليهود، لكن الهاتف يتمركز في عملية التطبيق، مع توالي تدفق الفكر المادي على الأصولية الصهيونية جعلها تفقد معناها (الروحي اليهودي) وتأخذ منحى اكثر مادية، اثر بشكل مباشر على الايمان الفردي لاتباعها مما جعل من الصهيونية خطر كبير على الشريعة اليهودية، حيث أصبحت تشرع كل شيء وتبرر ذلك التشريع من خلال الأعتماد على مبدأ الغايات، فإن كان الهدف الوصول إلى الأهداف المرسومة (الأيديولوجية) فإن الإضرار بالمبادئ اللاهوتية لهُ مبررات تأريخيه (حالة الشتات) ولاهوتية(الميسيا) [1].

[1] چان فال، الفلسفة الفرنسية: من ديكارت إلى سارتر، ترجمة: فؤاد كامل(القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1980)، ص115-117.

رفد الفكر بحالة معينة من التصورات بناءً على الميول الذاتي للفكر الفردي وما ينجم عنه من احلال فكر غائي ذو بُعد بياني يحمل في حياته دلالات سيميائية الهدف منها ايلاج نمط اقرب إلى أن يأخذ منحى سخيروطي، لأن انتفاء الفكر يأتي بدلالة محو التفكير الدالة على وجود الوعي (العقل)، لا يحدد توجه اي فرد تجاه اي موضوع (أمر مهم أو غير مهم) في وجودها يتخذ موقف موالات أو رافض له بنفس القدر والقدرة.

محاولة تجسيم الأفكار وربطها مع بعضها، يحدث من خلال الصيرورة التأريخية إذ تعمل على نقل فكري بنيوي للفرد من حالة المعنى إلى اللامعنى بعد أن يُسلب الفرد من ممكناتهُ المادية ذات المعنى الوجودي، عبر تعاطي الفكر لحظيًا التي أدت إلى التقليل من حدة المؤثرات المادية المكبوتة داخل المجتمع.

العناصر التجريبية لا يمكن لها إن تشكل إطار ينفُذّ من خلاله الأخلاق نحو العالم، المصلحة تعد الركن المعنوي المؤثر في المعطى المادي، القيم والمبادئ زائفة (رؤية محدودة)من خلال النظر إلى واقعية البناء الوظيفي لها، فكل فرد يرى الاخلاق من زوايا مغايرة، معضلة ناتجة عن تحديد إطار معين للأخلاق تكون ذات رؤية شمولية وأكثر واقعية، وفي هذا الشأن إسقاط المشروع الاصولي الصهيوني براثيم أفكاره من خلال تبني مشروع غائي، الهدف منه توظيف المعنى اللاهوتي (الديني) على الأيديولوجية الصهيونية، وإن كانت تخالف التعاليم التوراتية في نشاءتها ووجودها الذاتي(رؤية فكرية)، فإن القيّاس المادي أثر بدرجة كبيرة على الفرد اليهودي في داخل الكيان الصهيوني وخارجه[1].

[1] ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقيتا الأخلاق، ترجمة: عب الغفار مكاوي(القاهرة: الدار القومي

بالرغم إن الرؤية الفردية لدى (اليهود) تقتصر في بيان معالم الحرية متأصلة في الذات البشرية مستمدة من الرب، وما عملت عليه الصهيونية هو محاولة تضليل الحرية بغطاء مادي لا يمت لها بصلة، وهذا ما اشار إليه ديكارت عندما تحدث عن صفات مصدر الوجود، وكيف للإنسان لا يستطيع أن يعيش بعيدًا عن الذات الإلهية التي اوجدت البشرية والتأكيد على ضرورة اتباعها دون اي محاولة من الإنسان التعاليّ عليها أو تجاهلها.

العلم الإنساني بذاتهُ محدود جدًا، إذ لا يستطيع الفرد إن يبحث في البقعة المظلمة، الوصول إلى اليقين التام يتطلب أن يؤدلج تسليم مطلق للايقين، بذرة الوجود البشري ترتكز على مبدأ التغاضي وعدم الاتباع والانصياع مع تقادم الزمان، الأحداث التي تُصير تؤثر في بنيوية النسق الفكري للفرد والبشرية ككل دون أن يشعر أحدهم بذلك التأثير بقدر ما يظهر في مُعطياتها المادية.

اعتمادية المشروع الصهيوني على الحكم العقلي الأفضل، اظهر نجاعة كبيرة في تنظيمية الفكر المادي، لكن في نفس الوقت بين نتائج عكسية على الوازع اللاهوتي (الديني) الفردي، حيثُ ساعد على الغاء مبررات الوجود الحتمية لما يعرف باسم "إسرائيل الحالية"، بعد أن أوجدت على مغالطات لاهوتية، امكانية التخلي عن الفكر المادي ليس بالأمر المطروح سلفًا لدى رواد الفكر الصهيوني مما يفضي مع مرور الوقت إلى حالة من عدم التجانس المطلق بين الذوات اليهودية والذات الصهيونية تؤدلج صراع يتنامى شيئًا فشيئًا، يشكل عامل كبح وجودي.

للطباعة والنشر، 1965)، ص66-68.

خاصية تفتيتّ الفكر تتمثل في الأفكار المضادّة لها، وهذا ما نادى به الحاخامات اليهود ضرورة اتباع الشريعة اليهودية، لكن لو سلمنا لمثل هذا الأمر، فإن المشروع الصهيوني سوف يصاّب بفشل ذريع، احتدام الصراع بين الفكر المادي (الإنساني) والفكر الأخلاقي (الإلهي)، يؤدي إلى ضياع هوية الفرد نتيجة إصابة الفرد بحالة هي أقرب إلى اللامعنى، لا يعرف ما يريد أو يفعل وما سيفعل وما الغرض من الفعل، ناجمة عن تضادّ الأفكار بعد أن أنتجت رفض صارخ لكل الأفكار المحيطة[1].

إذا لم تنتقد الحقائق فلا طائلّ من وجودها فإن التسليم بها محض خرافة اوجدها الإنسان واعتادّ عليها، ترى الأصولية الصهيونية التي استمدت فكرة وجودها (كمشروع) من المجتمعات الغربية (المسيحية)، إن الرب لم يحدد لنا الأماكن التي نسير فيها في الظلام إنما اشار الينا بالعمل وفق ما يؤمن فيه المسيحي، جدلاً فكرة البعث والعودة والخلاص المسيحي مختلفة تمامًا عن رؤية الميسيا في التعاليم الشريعة اللاهوتية (اليهودية)، هذا الأمر لحد ذاته جعل من المشروع الصهيوني فكريًا يقع في فشل ذريع فقد جمع متضادين في المعنى على نسق فكري واحد.

---

[1] جنفياف روديس لوريس، ديكارت والعقلانية، ترجمة: عبده الحلو(بيروت – باريس: منشورات عويدات، 1988)، ص77-79.

حيث انتقد رواد الصهيونية وعلى طليعتهم "تيودور هرتزل" الشريعة اليهودية، بناءً على منهج العصور الوسطى يعرف باسم المنهج (الاسكولائية) ينتقد الفكر اللاهوتي من وجهة نظر مسيحية، وكان العالم يعيش مسرحية كبيرة قوامها الضعفاء يتحملون عبئ هذا الوجود المشوهة.

الخطيئة الصهيونية لم تختلف كثيرًا عنها في الفكر المسيحي أو على وجه الدقة في الفكر الفرنسي، فإن كل عمل يقوم به اي فرد نابع من إن الرب لم يحقق لأي فرد الكمال الذي هو يرى في نفسه الوجود الكامل الغير منقوص في ذاته، فاذا الرب لم يجعل الفرد دون خطيئة كيف يتم تبريرها بأنها خطيئة بذاتها، من ذلك ينتقد التفكير النمطي البنيوي للفرد المسيحي والصهيوني في آن واحد، فان اتباع التعاليم لا تجنب الفرد الوقوع في الخطأ (عمرام بلاو)يرى بضرورة اتباع التعاليم التوراتية، وان اي تشكّك فيها هو تشكّيك في الوجود اليهودي كمعتقد سائد.

سيادة العقل تؤدي إلى الغاء دور الدين مع تقديم العقل في تأطير أطر الوجود بكافة تفاصيلها، العلة كامنة في التفكير الصهيوني الذي حصل على تأييد العديد من الطوائف اليهودية الرافضة له اغودات (مثلاً)، والامتناع عن ذلك لا يكون حقيقة متجذرة في الفكر اللاهوتي إنما هيَ إسقاط أنطولوجي قائم على ديالكتيك العبد والمعبود، فإن اي خضوع تام من الأخير تجاه الأول ينفي فكرة وجوده إن لم يحددها في الأصل، وعليه انتفى الفكر اللاهوتي في الفكر "الإسرائيلي" وحلّ محله الفكر المادي (الإنساني)، مما أدى إلى اخضاع الفرد إلى قيم وأفكار لا تمت

للواقع بصلة، جسدت أبستمولوجيا اخلاقية مقتصرة على المعنى بدلالته التجريبية فقط[1].

في أولية العقل الصهيوني يتم تقديم المصلحة الأيديولوجية على المصلحة اللاهوتية، مع تقديم المصلحة الفردانية الخاصة على المصلحة العامة، إذ يجب أن تكون المصلحة الخاصة في مقدمة العمل والحاقها بالمصالح الفرعية، الأفكار السائدة هي من تهيمن على الوجود وترومّ للسيطرة عليه بغض النظر عما يوجد في هذا الوجود من أفكار أخرى قد تشكل الفئة الأكبر في دائرة تفاعلها.

العقل؛ محرك الأفكار ومحدد مساراتها بغض النظر عما هي تلك المسارات الرئوية، إذ لا يتقبل العقل العملي الصهيوني كمعطى اي تغيير من العقل التأملي اللاهوتي (اليهودي)، لان فاعلية العقل العملي تضعف الأفكار التي تعارض سيرها في محيطها المادي، لا توجد مصلحة أعلى من مصلحة الفئة المسيطرة وإن كانت مصلحة مزيفة في دلالاتها الغائية والتجريبية على حد سوى.

الزج بالفكر الإنساني في العلم الالهي ماهية إلا محاولة اضفاء القداسة على الفكر الإنساني الذي يشوبه الخطأ أو اضفاء الخطأ على العلم الالهي، وهذا ما يثبته الوعي بأخلاقيات الواقع، إذ لا ينفصم مصلحة العقل العملي المحض المادي عن المشروع الاصولي الصهيوني في تراتبية عملهُ وما يقوم عليه من بناءة للأفكار السائدة لدى أيكولوجية، لا يتنافى هذا التفكير مع الرؤية النمطية العقلية الفردانية بقدر ما تختلف مع رؤية يهوى العامة لدى الأفراد اليهود المؤمنين به.

---

[1] رينيه ديكارت: التأمل في الفلسفة الأولى، ترجمة: عثمان أمين(القاهرة: المركز القومي(1297)، 2009)، ص194-196.

ديناميا الترابط بين العقل الصهيوني المحض مع العلم اللاهوتي اليهودي يقوم على اجهله الأفكار الدينية وتسويغها ماديا إلى العالم بأنها حقيقة ثابتة لم تأتي من فراغ أو لمّ تكُنّ بمثابة صدفة وجودية، من خلال العمل على تدعيمها بادله واثباتات واقعية تؤطر مكانتها المادية، بالتأكيد على ضرورة الاتباع النسقيّ الحديّ الفكر المادي بناء على الحدسّ(الشعور المُسبق)، بعد أن تراجع الفكر اللاهوتي نتيجة عدم وجود جدوى مادية لهُ خاصة إن تأثير الأفكار ينتج عنها ردت فعل تأتي بدلالة التطبيق العملي لها، أي فكرة لا يتم تطبيقها على أرض الواقع بعد الايمان بها تنحسر رويدًا رويدًا إلى أن تفنى وتضمحل، وهذا ما يظهر في داخل المجتمع الصهيوني، من حيثيات التصاّدم بين الفكر المادي واللاهوتي، اولج صراع ظاهر افقد الفرد اليهودي مكانته الوجودية، وولدّ حالة من اللاوعي الفكري دشنتّ وقائع مزيفة أنتجت اضرار جسيمة لدى الوعي الذاتي الفردي عبر هرطقة (بدعة) المشروع الصهيوني الذي قاّم على ركاّم فكر اصولي يهودي لا يرتبط فيّه لا من قريب ولا من بعيد[1].

الأفكار الأكثر تأثيرًا هيَ تلكَ الأفكار القابلة للتحريف والتغيير في وقائعها البنيوية، العالم يجسد تركيب متناهي الوجود في كينونته المادية، إذ يعد هذا شرخّ أصولي في ايدلوجية المادة الوجودية، حيث تتخذ الحياة مسارات ذات منحى ازدواجي مورفولوجي في قياسها الغائي، بالرغم من إن العالم يمثل ابعاد غائية تجريبية الأصل فيها القياس المادي (الزمن) كعامل وحدوي إلا إن تأثيرات المادة

---

[1] ايمانويل كانط، نقد العقل العملي، ترجمة: غانم هنا(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص211-214.

على المعنى بلغت أعلى مراحلها الفكرية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالارتباط النسقيّ للفكر.

الطوباوية سمة ميزت كل معطى بناء على ما يؤثر فيه ويتأثر به الفكر اللاهوتي المتجسد في اللاوعي، مجرد تصور إن النهاية قد باتّ قريبا جدًا اضحى العالم اكثر سخرية، اضفاء طابع ساخر على تراتبية الافعال الذاتية تولدّ ارهاصات فكرية من شانها أن تؤدي إلى استلاب ظاهرة في الوعي الجمعي القيمي السائد في المحيط الذي نشاء فيّه الفرد وما يتأثر من خلاله، عملية فضّ النزاع بين الرؤية الطوباوية (الخيالية) والمادية النقدية التجريبية (الواقعية)، تتم من خلال التسليم بأن الخيال يمثل علامة النهاية للوجود الفردي والمحاولة الأخير لتقبل الفرد لمثل هذا العالم، وإن كان العالم يقوم على ماهية فكرية لا تمتّ بصلة للوجود الذي نشاء عليه الفرد تدريجيًا، ما يفضي إلى سلخّ القيم السائد (سابقا) حيث تحل أفكار جديدة تعرف باسم (الحداثة)، تعمل على تأطير أفكار تأخذ أشكال وصور مختلفة تؤثر في سلوكيات المجتمع ككل.

الامتداد الزمني دلالة قياسية الهدف منها معرفة تأثير الوقت (الزمن) على الفرد ماديا وفكريا، وكيف يمكن لمثل تلك التغيرات أن تؤصل سلوك بشري يسموا إلى الملائكية ويدنوا إلى الحيوانية في صيرورته المادية، كل قياس يخضع للتصرفات الناجمة عن الأفراد، عندما ننظر إلى الأعمال التي تقوم بها الصهيونية تجاه اليهود الحريديم - ناطوري كارتا - (مثلا)، يظهر لنا بأن الانسلاخ الفردي من القيم الإنسانية واللاهوتية جعل منّ الفرد الصهيوني - واليهودي(المؤيد لتلك الأعمال)، يأخذ شكل حيوانية (السلوك)، من خلال العمل على غريزة الوجود نتيجة تصورات يشوبها الخطأ في قياساتها الفكرية،

اندماج العلم الإنساني مع رؤية اللاهوتية المغلوطة نجمّ عنها أفكار اركودية الهدف منها توظيف غير فعال للنسق التبشيري لكل فكرة على حدة، وان كانت ترى في العالم المحيط لها ليس سوى صدفة كونية[1].

اللحظة الأولى لانهيار الفكر تتمثل في اساءة استخدام العللّ الغائية للوجود البشري، ملاحظة العالم تفسر معالم وجوده فكل شيء في هذا الوجود وجد لغاية معينة تدفعنا للتأكيد على ضرورة تفسير تلك المعالم المحيطة في الإنسان وتفسيرها بناءً على معطى العقل العملي المحضّ للوصول لقياس كليّ شمولي الهدف منه ارساء أفكار بنيوية حقيقة تنتشلّ الفكر الإنساني القابع في رذائل الأفكار إلى بقعة العلم المظلمة.

لغة الطبيعة تخبرنا إن العالم أوجد من خالق رحيم محب للبشر، كل خطوة نبتعد فيها عن (الله) تجعلنا نخطئ في تقديراتنا المادية منا يدفعنا إلى احلال مفاهيم وتصورات مادية لا تعدوا إلا أن تكون مغالطة تأريخية تحطم اغلال الفكر الإنساني المشوهة، محاولة استباقية فهم الأحداث الناجمة تدفع في الأفراد نحو الانغماس في لجّة الخطيئة، علة وجود الإنسان هو الوجود المجرد بحد ذاته أما المعلول يمثل تأثيرات إسقاطيه معرفية للولوج إلى فضاء اكثر فهم للتصورات البشرية المحدودة.

---

[1] فولتير، رسائل فلسفية، ترجمة: عادل زعيتر(بيروت: التنوير للطباعة والنشر، 2014)، ص127-131.

مقاييس الحقيقة مختلفة باختلاف اللغات والشعوب والعادات والتقاليد، لكن مقاييس الكذب ثابتة في زيفّ الواقع، الغاية محدد مادي قياسي ثابت في دلالاتها السيميائية، الكوارث الطبيعية وفق المدرسة الاسكولائية هي زيف مطلق بفعل خطيئة بشرية، فيما إن الرؤية المادية تحاول اضفاء إطار حلقي يبرر كل الأحداث وفق الأفكار الميتافزيقية، العالم كامنّ في معان مختلفة لكل فرد معنى مؤطر للسيسيولوجيا المجتمعية، قتل الشعب الفلسطيني وابادتهم الوجودية بررت شرعيتها وفق رؤية استعمارية استغلالية الهدف منها بقاء الشعب اليهودي في راضي فلسطين المحتلة.

ناهيك عن حقيقة الزيف؛ منحة مع الوقت اليهود دولة "إسرائيل الحالية" داخل عالم غير متجانس الرؤى يلاحظ الاشياء وفق مصلحته الغائية وما يترتب عنها من منافع فكرية، حتى رفض اليهود انفسهم لمثل تلك الدولة لا يعد مبرر غائي وتصفية المعارضين للمشروع الصهيوني يأخذ تشكيل دلالي للبقاء اليهودي اسحاق رابين (مثلاً)، لا يرى العالم كما تراهُ الحقائق بقدار ما تفسر الحقائق من وجهة نظر الظالم المستبد المسيطر، إعلان صارخ للحكم الأوليغارشية في أعلى اطوار الاستبداد الأخلاقي والثقافي والديني[1].

الافتراض السابق في كينونة المجتمع يتجسد في إن الفعل الاجتماعي يتضمن التزام مادي - فكري بالمواثيق المعلنّ عنها بين السادة (النخب السياسية - الحالية) والعبيد (المواطنين في داخل اي وحدة اجتماعية)، تأطير

[1] فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة: يوسف نبيل(لندن: مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017)، ص137-139.

العمل السياسي لدى صاحب السلطة يستمد قدرتهُ في البقاء من خلال اضفاء قدسية معينة على الافعال الناجمة عنه في دائرة تفاعله في بنيوية المجتمع.

نظرية المعرفة أصلت ابعاد فكرية تساعد الفرد في نفاّذ الاطر المفاهيمية داخل تراكبية المجتمع، لا سيما إن المشروع الاصولي (الصهيوني) عمل على تقديس فكرة البعث اليهودي الكامنّة في النصوص التوراتية وما يتأثر فيها الفرد داخل المجتمع وفق تأثيرات النظرية الاجتماعية، تفسيرات الافعال مستمدة من اللواحق المادية في وحدتها الوجودية، إّ تُساق الافعال وفق مبادئ مادية لكنّ ضررها القيمي يكمُنّ في كيفية تغيير التوجهات الفردية تجاه أي قضية، أمنّ فيها الفرد سابقًا ونحسرّ الايمان كليًا مع مرور الوقت نتيجة تضاّد الفكر الفردي وعدم قدرة (الجمهور – الشعب) على تكيف مع التغيرات الحاصلة في صيرورة المجتمع المادية.

الهولوكوست؛ جدلاً مثلتّ قياّس مادي تبريري للأفعال الصهيوني في العالم بصفة عامة وفي داخل فلسطين وضد الشعب الفلسطيني بوجه الخصوص، هذه الخطيئة لمّ تكُنّ نتاّج للمشروع الصهيوني بقدر ما إن موالات الجماعات الغربية التي دشنتّ بداية جديدة لوجود الفكر المادي بدلا من الفكر اللاهوتي، ساعدت نحو تنامي المشروع الصهيوني في العالم مما اضعف تأثير الوازع الديني والقيمي للشريعة اليهودية تزامنًا مع ضعف التيارات الدينية المسيحية، تلكَّ الحقيقة تفضي إلى نتيجة واحدة ارساء الدعائم المادية من شانها أن تُقللّ من سطوة الفكر الإنساني، شريعة كل الأفكار والقوى السياسة في داخل اي بيئة تفاعلية تنطلق

من كيفية تحديد ماهية البناء الوظيفي للدور الذي يمكن أن يشغلهُ من قبل صاحب السلطة[1].

تميز الافعال من روافدها المادية - الإنسانية، وماهية الدلالات التي أفضت إليها تلك التصورات من رؤى وابعاد قيمية حددت الذاتية الفردانية، لا يتأصل اي نقد لأي رؤية عقلية خالصة إلا من خلال رؤى منطقية المعنى، فإن للمنطق معانٍ مختلفة وفق كل زاوية يأخذ فيه قياس المنطق، إن كان أحادي أو بنيوي (نسقي أو عرضي).

إذ يرى ايمانويل كانط بين التحليل (رؤية) نمطية عقلية تجسد قيم الواقع وتنطلق منه نحو العالم، عبر دراسة اجتماعية للفرد والمجتمع حالة وجود (اخلاقية)، والحكم التركيبي وما يتأثر فيه هذا الحكم في الاطار النسقيّ الفكري إن كان (القبلي- مادي) أو (ذاتي - معنوي) كفواعل مؤثرة في القيم البشرية السائدة في غياهب المجتمع البشري، جدلية العلاقة بينهما أطرت تصور عام يجتزء منه تصورات فرعية لكل حالة يؤخذ بها في داخل المجتمع، نحن نُحدد مكانة (الأسرة) بنفس القدرة التي نحتاج بها لتلكَ القيمة الإنسانية السائدة، تمدد القيم راسخ من بناءة للأفكار، الاعتراض على مثل تلك العلاقة تتمثل بين النوع والكمّ وما يضفي عنها اجترار للهوية العامة للفرد إلى هوية فرعية، تعد بمثابة خليط بين اللاهوت (المعنى) والأفكار الإنسانية (المادة).

---

[1] جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمة: عبد العزيز لبيب(القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص95-98.

مما يؤدي إلى تشكيل ثقافية اجتماعية لدى الافراد تتمثّل في معرفة سلوكياتهم الجمعية وكيف تتأثر في بنيوية الواقع المادي، لا سيما إنّ الثقافة تتمثّل في الذاكرة الفردية وما تحملّ في طيأتها من معانّ تؤدلج وتنمي في نفس الوقت(حسّ الشعور)، فكل فعلّ يرتبط بالغايات الوجودية للفرد، للغة فضاء متناهي الابعاّد كتأصيلّ عام لكناية الفرد المعنوية يُستدركّ فيها الكلمات كمعاّن يُمكنّ لها أن تُشكل حيز زماني(الوقت) ومكاني(الجغرافية)، فكلّ فعلّ لا يتأثر بهاذين المحددين لا يطلقّ عليّه استدراك ثقافي، وهذا ما عملت عليّه الصهيونية في مشروعها الاصولي في داخل المجتمع الصهيوني، من خلال جيل يحملّ جيناتّ ثقافية متباينة عُرف باسم "الصابرا"، إلا إنّ الواقعة التأريخية لها الاثبات الأول والاخير في ترسيم الخطوط التي تسيّر عليها الأفكار العملية (البرغماتية – الاخلاقية) وما يطلق عنها باسم التنشئة الاخلاقية الحرة للإنسان من وجهة نظر مادية لا يقومها المعتقد أو التوجه اللاهوتي بقدر ما تؤثر فيّه القيّم السائدة[1].

واخيرًا؛ تطور الوعي الفردي يشكل خطر على اليقين بالحدث (الوقائع)، تحديد المسارات تتم من خلال دراسة العلاقة الجدلية بين البداية التأريخية دمجها مع البعد الازلي (رؤية للاهوتية)، فكل عمل فلسفي - سياسي يجب أن يتوفر على إسقاطات تاريخية (مادية - معنوية) تعمل على بناء وعي لحضي ذاتي ملازم جميع تصوراتنا حول الماضي والحاضر وكيف نرى المستقبل، إذ لا يمكن أن تحلّ المسألة النظرية محل المشكلات الواقعية وما النهاية التي تنتهي إليها

[1] ايمانويل كانط، ثلاثة نصوص: تأملات في التربية ماهي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟، ترجمة: محمود بن جماعة(تونس: دار محمد علي، 2015)، ص46-50.

تلكَ التصورات، لأن الحدسّ(الشعور) بالأشياء المحيطة يضع الفرد امام الشيء نفسهُ، وهذا ما يفسر حالات الصراعات والتناقضات في داخل المجتمع الصهيوني، خاصة إن مثل هذه الافعال تم بناءها على رؤى مناقضة للواقع الفردي بعد أن يُصيّر شكلّ العالم وفق الرؤية اللحظية (تجريبية الواقع).

الإعتراف بوجود علاقة بين الانعزال (الجيتو: مثلاً) مع تنامي شعور الأنا، لان الادراك محدد مع الشعور، بمعنى اي شيء تدركهُ الروح الذاتية الفردية مما يُصيّر حالة من الاغتراب النفسي(حسية)تخلق تصورات مغلوطة تجاه العالم والاخرين على حد سوى، الصراع يعد محرك اساسي للشعور، يطرح تساؤل أجيب عنهُ ضمنيًا ماذا لو كان هذا الشعور لجماعة معينة ما النتائج التي يمكن الوصول إليها ؟نخلص من ذلك بالقول إن التجليات العنيفة سوف تكون اكثر حدة من اي وقت، يحكم تلك الحالة حالة مشوهه من المعنى، لدينا صراع ناطوري كارتا كفرقة يهودية دينية متشددة مع الجماعات الأصولية الصهيونية(مثلاً)[1].

[1] جان بول سارتر، تعالي الأنا موجود، ترجمة: حسن حنفي(بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، ص47-53.

الفصل الثاني

الرؤية المادية في الفكر الأصولي الصهيوني

توظيف الأفكار المادية في المشروع الصهيوني لمّ تكُنّ وليدة اللحظة إنما كانتّ متجذرة في المشروع الاصولي الصهيوني، فقد نشاء الفكر الصهيوني من اعماق الفلسفة الغربية ومثلّ نتآج فكري واضح للأفكار المادية الغربية وما اضافة لهُ من أبعآد أيديولوجية أخذت منحى وأطار غائي للاهوتي (ديني) يهودي، بهدف تبرير السلوك السيسيولوجي للفرد الصهيوني في داخل وخارج ما يعرف باسم "إسرائيل الحالية"، وهذا ما سوف يتم تناولهُ بالتفصيل، كما مبين أدناه:

أولا: الحرية

للوجود معانّ مُختلفة ينفُذّ الإنسان من خلالها تمثلّ أسمى أنواع النفآذ فيّ وجود انسان يُفكر بصورة جيدة هاربّ من الواقع يفضي في وجودهُ إلى كينونة الحرية، إذ يمكن تعريفها على أنها حالة طبيعية للسوك الفردي لا يخضع الفرد لأي مؤثرات خارجية من شأنها أن تُعيقهُ في دائرة تفاعلهُ أو تعمل على إخضاع الارادة الفردية لأي قوة على وجه الارض سوى كانت تلكَ القوة سوسيلوجية – مجتمعية أو قانونية سيادة تعنى بالنظام السياسي لأي كيان كان في العالم، إلا من خلال الحكم الطبيعي الذي يفرضهُ الوجود المادي للإنسان في عالمه لأن الحرية بتعريفها العام هو عدم خضوع الفرد لأي قوى غير قوة السلطة القانونية في اطار الدولة ذات الشرعية المكتسبة من الارادة العامة للإفراد العامين، فالفرد كفاعل

وحدوي وجودي إنّ خضع لأي قوة غير تلكَ التي قننها العقد الاجتماعي فأنّها سوف تأخذ معنى مغاير عما هيَ كانت عليه.

تأصيل فكرة الحرية بأن يفعل الإنسان ما يشاء وفق ما يشاء حيثما يشاء بشرط أن لا يحقق اي ضرر مادي - نفسي للفرد الآخر أو الاخلال في نظام معين، بمعنى أدق أن يعيش في اي مجتمع وفق الاطر القانونية المادية (الإنسانية) أو اللاهوتية (الدينية) لتلكَ البيئة، غير إن حرية الفرد في ظل السياسات الحكومية تخضع لأسس قانونية قد تشكل جدل كامن في روح الفرد بما يتعارض في فكرة وجود الفرد المادية، بالرغم من إن النظام سارّ مفعوله على الجميع إلا إن الجميع لا يمثلون بُعد مسبق للفعل القانوني؛ وعي جمعي قاصرّ في فكرته، عملية التحرر من اغلال الطبيعة تفضي إلى قيود مادية من شانها أن تعيقّ ادلجة الأفكار في الصيرورة الزمانية وما يتفاعل معها طرديًا من قيم شاّذ للأطر القانونية تتنافى مع القيم الأجتماعية الراسخة في ذهن الفرد، إذ لا يمكن للفرد إن يستغني عن تلك الأفكار لأن مسألة وجودها جوهريًا تؤصل بعد قيمي سلوكي.

غائية الحرية تتميز في عملية منع استبعاد الآخرين إن كان الفرد عاجز على أن يحقق حريتهُ فإنه على اقل تقدير ملزم بأن يدافع عن حقوق الآخرين من الاستغلال، البناء الفكري الفردي يتحدد بإبعاد معينة لا يستطيع أن يخرج منها الفرد أو الابتعاد عن ابعادها بأي شكل كان، الضغط المتواتر على الأفكار القيمية الفردية من شانها ان تؤدي إلى أثاروا أفكار معينة ترتكز في وجودها على بناء احلالي لأي مجتمع عبر سلخ هذا المجتمع من الخصائص الفعلية الوجودية الثقافية واللاهوتية (الدينية)، وما ينجُمّ عنها من اثار فكرية تؤدي إلى وجود تركيب فكري مشوه في اللاوعي الفردي.

الاستبداد نتاج لفكر مجتمعي شمولي قيمي ثقافي ويظهر ذلك من خلال إن الفرد (بناء على الرؤية الطبيعية - الفطرية) اذا لم يستطيع أن يمارس الحرية بأكمل وجه فإنه يسترضي أن يستعبد جميع أفراد المجتمع سيكولوجيا بهدف ارضاء النفس البشرية التي تنزع نحو الاستغلال والسطوة والقوة في فرض وجودها دون أن يكون هذا اجحاف في الفكر الإنساني ليكن حالة طبيعية فردانية تادلجة مع تلك الأفكار في نسقها الفكري واتساقها المادي، من حيثيات المضمون فإن التعارض مع فكرة السيد من شانها ان تمنح سعادة تعرف باسم "سعادة الموت"، وهذا السلوك يحدث بفعل نقائضّ لا أصل لها تتولد تواليًا مع حياة الفرد بعد أن تتغذى على الحرمان والظلم ولاستعبآد.

حالة اللاوعي لا تستطيع أن تحدد من خلالها كينونة الحرية الفردية وابعادها الذاتية في الوجود العدمي (كناية للفكر)، انتصار الأفكار السحيقة في أعماق الإنسان أمر مسلم به ويمكننا البتّ فيّه من منطلقات عقدية(أصول الإعتقاد)، ففي اللحظة الأولى التي يكون فيها اتفاق نهائي حول آلية تعاطي الحرية فإن السلم الكامن في المجتمع سوف يطفوا إلى السطح لحظيًا؛ وسرعان ما يعود الصراع في بذور الفكر المجتمعي لان الحرية ليست ممارسة بقدر ما هي فلسفة يفهم الإنسان من خلالها كيف يعيش حياتهُ بعيدًا عن الضوابط المادية التي تعمل على هدم وجود الإنسان[1].

[1] جون لوك، الحكومة المدنية: وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، ترجمة: محمود شوقي الكيال(القاهرة: مطابع شركة الاعلانات الشرقية)، ص27-29.

الحاجة تعد عامل وجودي قيمي تنبثق من خلاله طلب متكرر للحصول على الحرية، لان الحرية في دلالاتها تأتي بمعنى الوصول إلى الغايات، أيًا كانت تلك الغايات فما هي إلا حاجات يطلبها الإنسان مرارا وتكرارا، وهذا ما يفسر سلوك الفرد تجاه النظام السياسي لأي دولة أو كيان سياسي بغض النظر عن مدى ترابط هذا الكيان بالوجود الثقافي أو المادي للرؤية الفردية حيث تتعامل مع هذه النزعة من خلال ديناميا الكوارث الفكرية وما ينجم عنها من مخلفات يمكن أن تؤثر في سلوك المجتمعات وفقا لروافد الفكري المستساغة في داخل غياهبّ فكرة المجتمع المادية، يعتاد الفرد على الأفكار التي تُرفدّ في داخل المجتمع شانها شان اعتيادهُ على فكرة وجود زوجة واطفال، تتحول الاكاذيب إلى حقائق راسخة وإن كان الأصل فيها عدم تقبل أو تصديق لها بما يتنافى مع بنيوية الفكر الفردي.

الحرية السلبية؛ هوَ أن تعتقد بأن الأفكار التي امنت بها في المجتمع هي أفكارك أنت وليس لأي قوى في الوجود حددت هذه الأفكار، الحقيقة إنها ليست سوى أفكار قامتّ الأنظمة السياسية بتنظيم عملية تدفقها داخل المجتمع بصورة منتظمة، حاجة المجتمع على وازع اخلاقي أو مادي يمكن أن يقوم سلوك المجتمع يفضي إلى احلال أفكار يعتنقها المجتمع ويدافع عنها بشراسة تحت غطاء يشرعنّ تلك التفرعات الفكرية، بهدف زيادة اعتمادية الأفراد على بعضهم بعض أو تخليهم عن بعضهم بعض، الأمر الذي يجعل من الوعي أمر ضروري لفهم بذور الأفكار وتباينها وكيف يتعاطى المجتمع معها، لأن استشراءها يجعل من الفرد فاقد للمعنى مما يؤثر على تصوراتهُ تجاه الحرية ككل.

استباقية الشعور بالحرية يتم تقديمها على ماهية الحرية وعلى ما تقوم عليه من رؤى قياسية تختلف من مجتمع لآخر من حيثيات الابستمولوجيا، الانسحاب من تلك الحرية المادية رهينّ بالوعي الفكري بالمادية التي امن بها مسبقاً،المصلحة كما اسلفنا محدد اساسي في اي توجه لأي سلوك بشري مادي أو معنوي، احتمالية وجود خير نطلق ودفاع عن اي فكرة يتضاءل تدريجيًا في عالم تحكمه الفلسفة المادية، التضحية والفداء تنحسر شيئًا فشيئًا إلى أن تبدوا كل الأفكار ماهية إلا دلالات غير قياسية لمعنى الوجود الفردي.

العدوانية سمة مميزة للحرية المادية، ارتباط الحرية بمفهوم الانتقام والسلوك اللفظي أو المادي العدائي تجاه الآخر يؤطر أقصى درجات الحرية، كما بحق للإنسان أن يعبر عن الحب والتسامح والتعايش بشتى الطرق أيضًا يسمح للفرد إن يظهر أعمق بقعة سوداوية مليئة بعتمة الحقيقة وما يظهر من خلالها، التعبير عن الراي يمثل سمة فكرية ثقافية، فإن الانتقام فعل طردي للحرية المزيفة، لا سيما إن تلك الحرية لا يمكن أن تصل إلى مكانتها الحقيقة إلا من خلال اذونات مادية تسمح لها بالمرور إلى بنيوية المجتمع، من جانب أخلاقي[1].

التواصل ما بين الأفراد يساعد على احتكاك الأفكار بصورة منتظمة أو مغايرة تسمح بمرور رؤى ثقافية تمحوا معالم الأفراد السيميائية(دلالات الفرد الرمزية في الوجود)، حب الذات صبغة تملكية ناجمة عن شعور سابق للتعالي وسطوة الوجود، ممارسة القهر والقوة بين أفراد المجتمع تختلف وفق المكانات التي

---

[1] جون لوك، رسالة في التسامح: ترجمة: منى أبو سنه(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997)، ص24-27.

يملكونها داخل المجتمع، كان يكون رئيس عمل يتعامل نسقيًا بتلك الأفكار تجاه العاملين معه في داخل شركة معينة (مثلاً)، يدفعهم هذا التفاعل إلى البحث عن ملكية خاصة بهم تساعدهم على إظهار وجودهم بشكل فعلي وحقيقي، الشرّ أصل الحرية، إن لمّ تؤمن بأن الشر حرية فإن الحرية كمعنى غائي تفقدها جوهر وجودها، سلوك النظم السياسية في داخل الدول والكيانات تعمل على رسم مجتمعات مدنية بريشة النعام، حبر مزيف وريشة سوداء يمكن لها إن تحل محل الريشة البيضاء، توظيف الأفراد داخل المجتمع من أجل أن يقوموا بأدوار مختلفة يسمح لهم بأن يشكلوا فواعل مؤثرة على السلوك العالمي، بالرغم إن الدولة تمثل نقطة وصل بين الفرد والعالم لكن من يقوم برسم التصورات هيَ السياسات الشخصية التي يتبناها صانع القرار السياسي.

زراعة الأرض ملكية خاصة أو عامة في معناها العام لكن في مضمونها ليست سوى حرية ذاتية حددت من خلالها الرؤى الفكرية، الفطرة البشرية هي الرؤية السائدة مهما حاول الإنسان الانسلاخ منها إلا إن عودتها مسألة وقت، استشراف المستقبل يتفاعل طرديًا بالتوجهات الفكرية، فإن كان فلاح يجب أن يراعي مسألة زيادة المحصول لزيادة الانتاج بهدف ضمان وجود الفلاح لعام اخر بعيدًا عن التعقيدات، سرقة أرض وتوسيع مدارك هذه الارض يأخذ مبرر الحفاظ على امن العائلة بغض النظر عن الإضرار الناجمة عن هذا الفعل للفرد الآخر، وجود القوة أمر ضروري لوجود حرية شعب فلسطين (مثلاً).

التأريخ أوجد مشكلة سياسية مرتبطة بالوجود الفردي، عندما يبدأ الحديث عن حرية الفرد الأمر يأخذنا إلى حاجة وجود نظام سياسي تنظم حياة الفرد بسبب الشعور المتضاّد داخل الفرد نفسيًا، جدلاً فإن وجود حكومة عادلة

أمر عسير جدا وهذا يتنافى مع الشعور بالحرية الرامية لوجود حرية مطلقة أو نسبية يستشعرها الذوات، مما يجعل المصلحة مقوم اساسي وضابط لتلك التوجهات، تلاقح الأفكار لا يؤثر بقدر ما تؤثر توافق المصالح، العالم ليس مثالي ووجود هكذا أفكار إنما وجدت بسبب توافق المثالية مع المصلحة الذاتية، اهتماما بالمصلحة الفردية فإن أول شعور يحس من خلاله الفرد بصراع بين المجتمع والفرد ونفسه يؤدي إلى اندفاع الفرد بطريقة انانية نحو مصلحته، إذن كيف يستطيع أن يحقق المجتمع المدني المجتمع بصورة صحيحة وحقيقة بأن يضحي الفرد من أجل تحقيق الخير، التعهد بالطاعة أمر ملزم في شروط العقد الاجتماعي للوجود الفردي فيه، لكن حدوده مقترنه في تلك المفاهيم، إذ لا يمكن أن يحدد التضحية والفداء من أجل البشرية، إنما وجود حرية فردية يتطلب وجود فرد اخر فاقد للحرية.

وعليه فأن لا تقوم الحرية على حق طبيعي، إذن كيف يمكن أن يوجد مجتمع مدني حقيقي بمعنى اي فعل ينطلق من الحرية يرفض المجتمع المدني الرافض لتلك الحرية، صهر الأفكار لا يحدث مطلقا في ظل عالم غير متجانس فكريًا إن كان محدد برقعة جغرافية معينة أو عالميًا، ومن هنا يأخذ المجتمع المدني عبودية أكثر من كونه حرية لأنه يحدد توجهات الأفراد ويحدد سلوكهم المجتمعي، انتفاء الأخلاق يؤدي إلى انتفاء الحرية لتكن فكرة وجود الفرد مزيفة.

واخيرا، لو القينا نظر إلى الاتفاقيات والإعترافات على أنها تأخذ مكانة أقل من القوانين الطبيعية فإن نظرتنا إليها كانت صائبة، لا سيما إن كل تلك الرؤى ليست سوى موضوعات إنسانية اقل بكثير من الأفكار الطبيعية الميتافيزيقيا، بغض نظر عنا كانت تلك الحرية التي قد تكون أنتجت بسبب أرادة تعسفية أو

قمعية فإنها محكومة بصدفة وجودية اولجها الإنسان في هذا العالم، ولهذا الحد يكون الإنسان هو صانع للأخلاق ومانح ومانع للحرية لهُ ولغيره، والنظام السياسي يجب أن يكون صانع لفكرة الإنسان وليس مانع لتلك الفكرة من حيثيات أنه حر بمعنى إن الإنسان موجود في الوجود وغير محدد للوجود، وإذا استطاع المرء أن يقول إن المجتمع المدني هو اتفاق شامل في تلك اللحظة نستطيع الإعتراف بالمجتمع، لكن اذا رفض من داخله فإن الإعتراف فيه تعد مغالطة لا تغتفر، وهذا ما عملت عليه الأصولية الصهيونية في فرض وجودها في داخل الكيان الصهيوني أو كما يعرف باسم "إسرائيل" من أجل استمالة الرافضين لتلك الدولة من اليهود انفسهم دون غير[1].

ثانيًا: المواطنة

افتراضات الطبيعة تنطلق من أسس تجريبية الهدف منها توطيد اطر السلم كهدف غائي حتمي يبحث عنه في أعماق النفس البشرية، ومن هذا الاشتقاق يتم تأطير فاهيم خاصة للوجود الإنساني تتمثل في نظام بنيوي يحمل دلالات ذاتية تأتي بنسق واحد يأخذ منحى طردي عرفت في داخل المجتمعات القديمة قبل أن يكتسب الفرد صفة الوجود ويأخذ معانّ مختلفة داخل الاطر المجتمعية، لأن فكرة وجود خالق لهذا العالم جعلتنا نستمد من تلك الرؤية بناء مفاهيمي للمجتمع ككل، بعد أن كانت فكرتنا الأولى نحو المجتمع نظرية قبل اكتسابها بعد شرعي يقنّ السلوكيات البشرية، حيث تحددت في الانتماء إلى تلك الرقعة

---

[1] ليو شتراوس وجوزيف كروسبي، تاريخ الفلسفة السياسية: من جون لوك إلى هيدجر، ترجمة محمود سيد احمد، ج2(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص144-149.

الجغرافية التي وجد فيها الفرد وما يفضي منها من ولاء تام للنظام الاجتماعي الخاص فيها يعرف باسم "المواطنة"، إذ تأتي بدلالة الاندماج في مجتمع مرّ بتقلبات عنيفة بين مرحلة اللاوعي والوعي.

يرى توماس هوبز؛ تنامي شعور الفرد بالانسياق نحو المجتمع يتفاعل مع محددات ارتباط هذا الفرد مع المجتمع من عدمه، من خلال إحلال رؤية صاحب السلطة في داخل المجتمع المدني وما يترتب على الأفراد من واجبات وفق رؤية المواطنة التي تحدد درجة انسجام الفرد مع البيئة التي يعيش فيها، توحيد أبناء المجتمع وفق رؤية تصهر فيها الاضداد جمعيًا، لان رغبة الفرد في الانسجام داخل المجتمع بغض النظر عن الاختلافات المادية والمعنوية، في معناها اللاهوتي (الديني) والنقدي (الإنساني)تؤثر على شكل المجتمع أو الدولة أو الكيان، محاول زجّ الفرد في صيرورة مادية يلاحظ وجوده السائد بأنه حقيقة فعلية لا مفر منها، إذ لا يمكن ترسيخ مواطنة حقيقة لكافة افراد المجتمع دون وجود سلطة قاهرة وامره في آن واحد، وهذا الأمر تسترشد فيه المجتمعات الحديثة بسياساتها التي تقوم على ضبط عملية انتشار السلاح داخل المجتمع والتأكيد على ضرورة موافقة صاحب السلطة عليه، بهدف ضبط المجتمع سيكولوجيا، هذا التأسيس بغض النظر إن كان سابق أو لاحق لقيم المواطنة إلا انها تنبثق من خلال أفكار متناقضة قيميًا، تقوم على أساس ارساء دعائم الوجود.

الخوف يعمل على تشكيل وعي جماعي وفردي بضرورة التعامل مع الأفراد داخل المجتمع اكثر احتراما، فلسفة الثواب والعقاب تفضي إلى رسم تصورات فكرية هادفة لإحلال السلم في غياهب الفكر، وهذا ما يندرج عليه المرتكز الأساسي للمواطنة كفلسفة شاملة للرؤى المادية تؤصل رابطة انسجام ثقافي بين

الأفراد، والجدير بالذكر إن الرغبة في الخروج من عباءة البداوة والرجعية مثلت نواة وجود نظام اجتماعي يقوم على حقوق الأفراد فيما بينهم عرفت باسم (حقوق المواطنين) كدلالة للمواطنة[1].

جدلية الواقعة التأريخية؛ مثلت اجترار للماضي للحاضر واستدراك للشرائع واسقاط الحكم في نظم المجتمع المدني أو النظم السياسية، البحث في بطلان المعتقدات السماوية أو المادي الإنسانية الهدف منه خروج الإنسان من جدلية الشر المتجذر واحلال نظمي ذو رؤية مستقيمة الفكر الذاتي والبياني، مثلما كان هدف المعتقدات هو السعادة الدنيوية وتسير اعمال الأفراد في دائرة تفاعلهم الفعلية بصورة انية فان النظام الاجتماعي وعملية تحولهم هدفها ايلاج وفاق فكري احادي بغض النظر عن حجم الاختلاف الظاهري للقيم السائدة، سطوة اللاهوت تأخذ مكانة أكبر في النفس البشرية، لان وجود مواطن في بيئة اجتماعية فاقد للبعد اللاهوتي يؤدي إلى وجود مجتمع خالّ من المعنى القيمي المؤطر للرؤية الذاتية.

التفاوت الطبقي في الرؤى بين مواطنين الطبقات العليا المواطنين الطبقات الدنيا يشكل تغالط فكري بين الأفراد، لذا فإن الفرد حبيسّ الفكر والفكر حبيسّ البيئة وهذا نتاّج لتصورات فكرية مغلوطة، معضلة التميز بين العالم اللاهوتي والمواطن العادي وصفة المواطنة بينهما اجتزاء لفكرة الطبيعة السلوكيات الهجينة، اليوم نجد الثاني في قياس جامد مع دلالات المجتمع اما الأول فإنه

---

[1] مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعتر، ج1(القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص26.

يمتلك مرونة أكبر في التعاطي مع محددات المجتمع،اي محاولة لسلخ العالم اللاهوتي من مكانته الاجتماعية الدينية تؤدي إلى خلل وجودي بينه وبين المواطن العادي، تفاوت في البنية الروحية الفردية وفق السردية الدينية تؤدلج انشطار فكري.

واخيرا يمكن القول، بأن جدلية المواطنة بين الحاخامات اليهود داخل الكيان الصهيوني أو ما يعرف باسم "إسرائيل الحالية" اثر بشكل كبير بين الواقعية التجريبية داخل المجتمع الاصولي، حيث نجدهُ تاره مؤمن بفكرة البعث اللاهوتي "الميسيا" واستحضار الفكر النبوئي والقيم المادية الإنسانية، حيث يقف الفرد في داخل المجتمع "الإسرائيلي" بين قرارين، الأول أن يؤمن بالقيم التي نادى بها المشروع الصهيوني الناتجة من الأفكار الغربية والمسيحية (البروتستانتية) والمادية الأفكار المادية (الإنسانية)، وهذا كفر مطلق بالتعاليم التوراتية مما يؤدي إلى رفض الرؤية اللاهوتية التوراتية بناء على منطلقات الجماعات الأصولية الحريدية، اما الثاني فإن الفرد داخل المجتمع "الإسرائيلي" يؤمن بالتعاليم التوراتية بالحذافير ويدعوا إلى تطبيقها مما يؤدي إلى سلخ الفرد من ماهيته الأصولية الصهيونية رافض" لإسرائيل" لأنها لم تتحقق من خلال نزول المنقذ المخلص اللاهوتي اليهودي، اي بمعنى إن الفرد اليهودي في داخل "إسرائيل" اما أن يكون فاقد للمعنى أو فاقد للوجود في تجليات روح المواطنة المادية[1].

---

[1] مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعتر، ج2(القاهرة: دار المعارف، 1954)، ص175-176.

ثالثًا: المساواة

منذ ولادة الإنسان ووجود ماهيته الأولى في الطبيعة باحثًا عن مكانة في وجوده الذاتي مطالبًا بالمساواة بالحقوق غاضّ البصر عن الواجبات التي تقعُ عليه ناقمًا لحدودها الفكرية رافضًا للاطار الذي تقوم عليه باعثًا للانا الذاتي، مزج الفكر اللاهوتي مع الفكر الإنساني يبدي إلى ضعف فردي ذو صبغة فكرية حادة، الصراع بين الخير والشر متجذر في النفس البشرية منذ الازل، الإنسان بطبيعته ظالم لنفسه ولغيره في نفس الوقت، الأنظمة الديمقراطية لا تختلف عن الأنظمة الاستبدادية كلاهما تتعايشان على البؤس والضعف الفردي، مساواة امام القانون ويحددها في فكرةُ الاصولي، إلا إن اشكالية تلكَ المساواة تنبع من قصور حدود القوانين الطبيعية التي وجدت في مكان معينة قد تتعامل مع فرد جديد لم ينتمي لهذا النظام السياسي أو ذاك، لتكن فكرة وجود النظام الاجتماعي تتسم بمحدودية عامة في بنيويتها.

تعارض النظام الاجتماعي والسياسي مع النظام اللاهوتي يولد وهنّ صارخ في تراكبية المجتمع، فإن تنظيم مسألة المهور (الخاصة بتكاليف الزواج)تندرج وفق وصايا النظام الاجتماعي وكيف يتتبعها تقف بالضد من النظام اللاهوتي السائد في فكرة الفرد الوجودية التي اعتنقها سلفاً وفق الموروث العائلي الذي منح الابناء الارث وللإناث في نفس النسق، نتيجة تأثيرات للاهوتية حددت شكل التعامل مع الأفراد فيما بينهم، ليأتي نظام اجتماعي يقوم بإعادة هذا النظام من جديد، ماديًا؛ فإن المساواة هيَ روح النظام العشري والاجتماعي، اما

روحيًا فإن هذا التنظيم اولج فجوة كبيرة داخل النظام الاجتماعي بعد أن اطر شروخ عميقة في الذات اليهودية للمجتمع "الإسرائيلي"(مثلاً).

مساواة نسبية مستوحاة من تجربة مادية صائبة أو خاطئة، الاسقاطات الفكرية على الأنظمة الاجتماعية الهادفة لإقامة مجتمعات تتسم بفكرة العدالة الاجتماعية لا تعد إلا ان تكون مجتمعات مقهورة تحت وطأة الاستبداد المزيف بغطاء العدالة، تأصيل الارادة العامة يجب أن تقف بالضد من مصلحة الارادة الخاصة، لا سيما إن الارادة الخاصة تمثل هوية مجتمع ذاتي، بشرط أن لا تكون تلك الارادة تولج ضرر مادي أو فكري في البيئة المجتمعية للفرد، تحرم الديمقراطية في مفهومها الغائي ما يعارض نظامها، دون النظر على المصلحة الفردية أو الجماعية ليكن هنالك عامل ثالث يحدث شروخّ في الأفكار الرافدة لتشكيل اي مجتمع بعيدًا عن الفكر الذاتي والجماعي يتمثل في فكر النظام المدني الاستبدادي الحاكم بغض النظر عن هيئة التشريعيات الدستورية - القانونية فإن الهدف من القيام بتلك الافعال إن كانت قانونية تنسجم مع الفكر القانوني للنظام الطبيعي أو للاهوتي، فإن مصلحة النظام سابقة على وجود المجتمع.

الطبيعة المادية للمساوة تختزل بفكرة الوجود الأفضل للفرد وفق البناء البشري في هذا العالم شريطة أن لا يتعارض مع هذه الفكرة القيم الأساسي (العليا) للفرد داخل بنيوية المجتمع، النظم الاجتماعية المادية نشاءة بفعل قوة ظالمة هدفها تقويم السلوك الفردي عن طريق القوة وليس من خلال الحوار النابيّ عن أسس المساوة الفردية، لا يستطيع الفرد أن يعيش بمعزل عن المساوة بقدر ما يعيش بلا مساواة وهذا ما ظهر عبر التأريخ، فإن القانون الاغريقي الذي يشرع زواج الأخ من أخته من جهة الأم ويرفض تزويج الأخت من اخيها من جهة

الأب انتهاك صريح ذكره الاسبارطيون، النظام القانون الأساسي وحتى الأخلاقي يرفض أو يقبل بنفس القدر على تعاطي الأفراد لمثل هذه الفكرة، فإن الأنظمة القانونية نشاءة وتطورت على مفاهيم مغالطة للفكر الفردي تؤدي تدريجيًا إلى انهيار الفكر الجمعي، لان مشروعية الفكر المادي (الإنساني) يجب أن يكون مستمد من فكر فردي أحادي ليؤثر بطريقة نسقية على تراتبية الأنا الذاتي، القبول اللاهوتي والرفض يمثل حالة مجتمعية قياسية للتعاطي مع الأفكار الفردية، مهما حاول الفرد الخروج من جنبة اللاهوت(الدين) فإن هذه الرؤية الخروج منها أمر عسير، وتخطي مثل تلك الرؤية تؤثر في الفكر اللاهوتي، ومن هنا إن قلنا على سبيل التجربة إن الأخ والاخت من جهة الأب والام لهم الحق إن يتزوجوا وعدم زواجهم فهاذا بالضد من المساواة، فإن مجرد القول بمثل غذا الادعاء هو تدمير للأخلاق الإنسانية، محاولة هدم الفكر المجتمعي والنسيج الترابطي داخل العائلة، حيث يفضي إلى شتات فكري يفقد الفرد معنى وجوده، الشعور في الخطاب القانوني سابق على الاسقاط المادي.

من الواضح إن النظام الاجتماعي القائم بمهمة تقويم السلوك الفردي هو من يحدد امكانية بث فكرة المساواة في داخل دهاليز المجتمع السحيقة، اذا كانت الديمقراطية ترتكز على المساوة بين الأفراد أو المواطنين، فإن مشكلة النظام الديمقراطي يتمثل في تحديد شكل المساواة ومع من تقوم؟ وماهية حدودها الفكرية، ناهيك عن تفسيراتها البنيوية بين فرد أمريكي واخر فرنسي، حيث تخضع للعرف السائد آنذاك في داخل المجتمع الاصولي، تساوي الأفراد في الحقوق والواجبات فكرة خيالية ازلية حقيقة وجودها فقط في اذهان الأفراد الحالمون بها لا غير، يمنح الإنسان قليل من الحرية مع قليل من المساواة في

داخل الأنظمة الاكثر مرونة واستجابة للحرية، ويجتزء من تلك الحرية تصورات غير حقيقة لا تمت للواقع بصلة عندما تتعارض مع الأنظمة السياسية[1].

فإن وجود "إسرائيل" مثلاً يتعارض مع حريات غالبية اليهود حيث يرون ذلك النظام مارق من التعاليم التوراتية وتمت اقامته على هرطقة صهيونية؟ هل يستجيب ذاك النظام مع ازالة هذا النظام كنوع من المساواة في طلب إقامة دولة يهودية بناء على نصوص التوراة التي ترى بأن الدولة اليهودية تقوم وفق المشيئة الإلهية، وفق الرؤية للاهوتية يهودية بان اليهود هم (شعب الله المختار) وللشعب المختار أرض مختارة،كما ورد في سفر الخروج "وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تلكم بها بني إسرائيل" [2]، ويجب على هذا الشعب أن يأخذ حقة في استرداد أرض اليهود التي منحها الرب لهم فقد قال "وقلت لكم: ترثون انتم ارضهم، وانا اعطيكم اياها لترثوها، ارضا تفيض لبناء وعسلا. انا الرب الهكم الذي ميزكم عن الشعوب، تركة الرب لليهود تأصلت في أرض فلسطين ويظهر ذلك في كتابات للعهد القديم التي اشارت إليه "الرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة و يختار أورشليم"، هنا يثآر تساؤل هل من المساواة اقامة دولة لليهود وغالبيتهم رافضين لتلكَ الدولة أو على أقل تقدير لا يؤمنون بوجودها لأنها تُعارض النص اللاهوتي التوراتي؟[3].

---

[1] مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعتر، ج1، مصدر سبق ذكره، ص119-121.

[2] سفر الخروج، (19: 6).

[3] سفر زكريا، (2: 12).

التمايز داخل اي مجتمع يوردّ الحقد والضغينة وما ينتج عنه من عدم الأمان، استغلال الأفكار المقدسة يسلب الفكرة وجودها وقدسيتها ويمنحها غطاء مزيف من المادية (الإنسانية)، حقيقة المساواة تمثل روح الدولة المادية، لذلك فإن المؤمنين بذلك المجتمع يحصلون على امتيازات اكثر من غيره الذين يرفضون أو ينكرون ذلك النظام المادي، تفاوت فكري أدى إلى تفاوت طبقي نجمّ عنهُ خلافات اصولية أيكولوجية من حيثيات المعتقد الثقافي، بعد أن ينسلخ النظام الأساسي من الديمقراطية التي تقوم على فكرة المساواتية نحو نظام أوليغارشي يقوم على الاستبداد النفسي إلى إن يصل أقصى مراحل الاستبداد الممثل في الاستبداد الثقافي.

واخيرا يمكن القول، إن فكرة المساوة المطلقة في داخل اي مجتمع أمر خيالي لا وجود له، لو كانت هنالك تطبيق فعلي لمثل هذه الحالة من الرؤى فإن الإنسان يستطيع أن يعيش بعيدًا عن الصراعات المادية الهادفة لإحلال الأنا الإنساني، وينطلق هذا الجدل من اختلاف التوجهات التي يؤمن فيها الأفراد لتكن المساواة امام معضلة تفضيل اي فرد على حساب الفرد الاخر، خاصة إن فكرة المساواة هي فكرة عرجاء، إذ تقيم العدالة بين الأفراد من منطلقات سيميائية(رمزية دلالية) خالية من المعنى، كان يفترض وجود مساواة بين المسيانية والحريدية(فرق يهودية مختلفة في الفكر والمعتقد)، لان جمع الاضداد يفقد أحد الأطراف معنى لوجود الطرف الاخر[1].

[1] مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعتر، ج1، مصدر سبق ذكره، ص121-123.

رابعًا: التعايش

مثلّ الفكر الفرنسي قُبيل الثورة الفرنسية بيئة صراعية شهدها المجتمع الدولي ابان القرن الثامن عشر، حيث حاولت الكنيسة المسيحية سيطرتها على التعاليم المدنية في شقيها المادي والروحي (الإنساني) إلى جانب محاولة الفلاسفة المعاصرين آنذاك اللحد من تلك السيطرة وتقليل خطورتها الناجمة عن ايلاج فضاء معرفي يروم لإحلال فكرة المادية الأصولية، بعد أن تنامى الصراع بين الفكر المادي (الإنساني) والفكر اللاهوتي (الديني) بعدما تم طرد المتدينين من داخل فرنسا في العام (1789م)، عندما تم تأميم مدارس الارياف الفرنسية التي تعاني من انتشار الامية(عدم القدرة على القراءة والكتابة)، فضلا عن إن المؤسسات السياسية التي كانت تدور شؤون المواطنين تعاني من ضعف في القراءة والكتابة، كل ذلك أثر بشكل كبير جدا ثقافة الشعب الفرنسي، إذ بدا الشعب في الايمان بالأفكار المادية (الإنسانية) المارقة من تعاليم يسوع، وفق الاعتقاد المسيحي، في ظل معطى المتغيرات القيمية فإن كانت الأفكار حقيقة أو كاذبة لا تؤصل معنى غائي في داخل المجتمع بقدر ما امكانية تقبلها من قبل الأفراد.

عملية تقنين أصول التعايش في داخل المجتمع الفرنسي كانت ضابط للسلوك الفرد اللاهوتي بعدما اضطلع الكهنة في تعليم الأفراد القراءة والكتابة فضلا عن التعليم المسيحية بصيغة طرح التساؤلات والاجابة عليها مسبقًا، حيث تعد اللغة النافذة التي يمرّ من خلالها الفرد نحو العالم الأمر الذي جعل من التعليم أمر ضروري، مع التأكيد على عدم الإساءة للمنظومة التعليمية، مع وجود تعليم مجاني للأفراد الغير قادرين على تعليم ابناءهم في الارياف الفرنسية

بهدف نشر ثقافة الوعي الجمعي لدى كافة أبناء المجتمع الفرنسي آنذاك وقد سآد هذا العرق حاليا في مسألة التعليم خاصة في المراحل الأولى للتعليم.

فقد كانت هنالك مدارس في الارياف الفرنسية يتعلم فيها المسيح بكافة توجهاتهم (الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثدوكسية) اغنياء وفقراء على حد سوى من أجل صهر كافة أبناء المجتمع في بوتقة المجتمع، بدأت مرحلة التعلم في فرنسا في تغيير الاصول الفكرية لليسوعين عبر وجود معلمين ذو أفكار مادية فلسفية تقوم على دحض الرؤى اللاهوتية الأمر الذي أدى إلى تغير في تراكبية المجتمع الفرنسي الريفي، الذي اثر بدوره في بنيوية الفكر الفرنسي ككل، خاصة في العلوم التي اضطلع بالتاريخ والادب والعلوم الطبيعية (الميتافزيقية).

عصر العقل المعرفي؛ جسد نوع نقدي للفكر الذاتي واللاهوتي القائم على منهج الايمان المادي، سمة النقد طالت كبار الفلاسفة اللاذعين للقيم التي تقمسوها للأفكار التي امنوا بها، بالرغم من تلك التناقضات بين الأفراد فكريًا وللاهوتيًا فإن الأمر لمّ يؤدلج حالة صراع بين الأفراد، والفضل بذلك للتعليم الذي اتسم بالنقد الظاهراتي للأفكار من خلال تفكيك الأفكار وتنسيقها نسق فكري أحادي،فقد اخذ التعليم الديني جانب تطبيقي في عملية توظيف الأفكار المجتمعية، ومن ثم بعدها تشكلت أفكار مادية ترى في التعليم الديني أغلق الاذهان وقام بتقويضّ الفكر الإنساني وتحديدهُ باطر معينة افضت إلى نزعة تجريدية لسلخ الفرد من الرؤى اللاهوتية.

رجال الدين؛ كانوا حذفيّ جدا فقد واجهوا ردود الافعال العنيفة داخل المجتمعات الريفية لهم بهدوء، لأنهم اكتشفوا إن الأفكار التي تبناها الأشخاص العاديين لم تكن وليدة اللحظة إنما بثتّ في روح المجتمع من خلال قنوات رافدة لمثل هذا الفكر، وأن الوقوف ضدها مادية سوف يؤدي إلى خسائر كبيرة جدًا، فقد عمل الاكاديميين لواء الدفاع عن التعاليم اليسوعية ضد المعارضين، لتكن المواجهة اكاديمية بحتّ، توزيع الادوار بشكل عادل من شانه أن يؤثر في البناء الفلسفي والفكري للمجتمع، خاصة الحملة التي تبناها رئيس جامعة باريس آنذاك (شارل رولان)، أصلت تجسيد حقيقي وفعلي لعودة التعليم الديني، لان التعليم القائم على الفكر المادي يرتكز في بنيويته على كراهية علنية للتعاليم الدينية، لتلك الافعال ردود فعل تشكل ضرر كبير على الأفراد في الفترة ما بين (1726-1728م)، من خلال الاعتماد على المنهج الكلاسيكي.

فإن تشكيل أسس تعايش بين أفراد المجتمع ماديا تتم من خلال أمرين لا ثالث لها، الأول أن يقوم على أساس وجود معتقد يعتنقوهُ الأشخاص داخل المجتمع يدفعهم للأيمان بأن التعايش مبدأ أصولي وايماني في مرتكز الفرد المادي، اما الثاني، يتأصل في نبذ كل المعتقدات اللاهوتية للأفراد وتكوين معتقد مادي (انساني) ينساق لها الأفراد دون وعي مع ضرورة تطبيقها حرفيًا، الأنظمة الديمقراطية (من الامثلة الحديثة)، ترى في وجود الفرد غاية أساسية العيش بعيدًا عن تصدعات الفكر المادي القيمي الذاتي الفردي، ضرورة الدين والأخلاق تمثل نواة المجتمع السلمي، ومن دونهما لا يمكن وجود مجتمع حقيقي يرى في الفرد غاية تسموا نحو الافضل، الفوارق الطبقية جدلاً مثلت مثال حي للهشاشة الفكرية التي يملكها الفرد في عالم مترامي الأصقاع.

مثلاً؛ المزارعين في الارياف الذين تمسكوا بتعاليمهم اللاهوتية فقد استطاعوا العيش في حياة اخلاقية بعيدًا عن الفسق والفجور نسبيًا اكثر من الأشخاص الذين ادعوا المدنية، مركزية السلطة في داخل الأسرة كانت وازع قيمي للأفراد في الاتباع والانقياد للأفكار السلمية الباعثة للخير، اكثر من تلك المجتمعات أو الأسرة التي عانت التمدن السريع (سطوة الفكر المادي) جعلها تفقد مركزية السلطة، فقد تجدها تارة بيد الاب وتارة أخرى بيد الأمر وهكذا تتناقل بين أفراد الأسرة.

مارستّ الكنيسة تأطير فلسفة التعايش بين المؤمنين بها من الافراد من خلال جمع الصدقات وتوزيعها على الأفراد المؤمنين بها، من خلال المؤسسات الخيرية الكنيسة ذات الارتباطات الأصولية القيمية، مع التأكيد على ضرورة معالجة المرضى والمصابين بأمراض عضال على حساب الكنيسة، بالرغم إن هذا النوع من العمل يتجلى فيه عنصرية للأشخاص الغير مؤمنين بها إلا إنها مثلت ردت فعل عكسية على الممارسات المادية التي تعرض لها المتدينين والتعامل الذي تعرض له من الأشخاص المعتقدين بالفكر المادي.

فقد كانت المادية الحديثة نتاج للاهوت، حيث كانت نتيجة مسبقة للفلسفة وللاهوت، بالرغم من إن اللاهوت كرؤية غائية ومن حيثيات للتركيب مختلف عن المادة إلا إن هذه المحأولات لخرق الاطوار الفكرية المساعي الفلاسفة في تقديم الفكر المادي الإنساني على اللاهوتي، ويلاحظ إن مثل هذه المادية الهدف منها هو تقنين نوع من السلطة اللاهوتية لتكن حلقة ربط بين المجتمع والدولة، فضلا عن اعطاء اللاهوت بعد سلطوي مادي يمنع تخطيها لتكن هكذا

الأفكار اللاهوتية ذات قدسية أكبر ويتبعها عنصر يمنحها بعد قانوني يجسد ردعّ مادي وفكري.

الأفكار الرئيسية تتلاءم مع الطبيعية الفرنسية فإن اللحن الموسيقى هو نتاج للمجتمع فلكل مجتمع ثقافة خاصة فيه يعيش من خلالها في أفق معرفية وفلسفية، لأن الايمان لحنّ موسيقي، هكذا وصفهُ الفلاسفة المادين، لا سميا إن الايمان الانجيلي يُبدد الخوف القابع في قلوب المؤمنين اليسوعيين.

واخيرا، فإن التعايش كنسقّ رؤي يأخذ منحى مادي، فقد عملت الأصولية الصهيونية على العمل بنفس الوتيرة التي ترى في احلال الفكر اللاهوتي يكون من خلال إسقاط فلسفي ممثل في الحلول والاتحاد، كأن يكن الفرد يحلّ في الوجود ويتحد مع الطبيعية الفلسفية كنسق تجريدي، وهذا النوع من أنواع انسلاخ الفرد من الطبيعة اللاهوتية اليهودية ليأخذ الفكر المادي مكانة أعمق في الفكر الفردي، المؤثر بدرجة كبيرة على فاعلية المجتمع القياسية[1].

خامسًا: الايديولوجية - الدين

التعليم المقدس لا يمكن أن يتجاوز العلم المادي في حال تقديم فكرة التعليم المادي البشري على العلم الإلهي التي من شانها ان تصوغ لفكرتها الأيديولوجية بمنائ عن اللاهوت، وعليه فإن فاعلية الأفكار الذاتية الفردية القيمية تمثل اجترار بين اللاهوت كعلم مقنن قائم بذاته مستمد من الذات الإلهية والعلم

---

[1] ول وايرل ديورانت، قصة حضارة، ترجمة: محمد علي أبو درة، ج2(تونس – بيروت: النهضة العربية للتربية والثقافة والتعليم)، ص62-78.

الإنساني الغير منطقي وفق الرؤية اللاهوتية، فإن قدسية الأفكار تؤخذ من البنية الفكرية بحد ذاتها، لا تؤمن المجتمعات بالأفكار لأنها محل ايمانه بقدر ما إن تلك الأفكار رسختّ تصورات معينة في تحديد السلوك الفردي والجماعة، وهذا ما اشار إليه توما لاكويني في مسألة بيوم مدى هشاشة الترابط بين الفكر اللاهوتي كتعليم حاخامات للأفراد والاكاديميين والفلاسفة المادين، فإن كل رؤية تؤخذ من زوايا الحذر الاسكولائي، بمعنى إن التاؤيل الفلسفي للنص اللاهوتي يجب أن لا يتم التعامل معه مثلما يتم التعامل مع العلوم الطبيعية، ففي تلك الحالة يفقد النص اللاهوتي قدسيته فاقد للمعنى في وجوده المادي[1].

الحاجة إلى وجود معتقد يقوم سلوك الفرد في المجتمع لا يختلف كثيرًا عن حاجة الفرد للطعام والشراب، إذ لا يمكن تصور وجود مجتمع مستقيم ذو قيم اخلاقية عالية ضابطة للسلوك الفردي دون وجود وازع ديني يسير الفرد وفقها، تجاوز مثل تلك الرؤية يعتبر تعدي للفكر المادي الفردي في أيكولوجية المجتمع القيمي لان الإنسان بطبعة باحث عن السؤال متقصيّ للجواب، ما يعتمد عليه الإنسان في تكوين فكرته إلى العالم ينطلق من معتقدات راسخة في فكرة الإنسان، فإن العامل الديني بغض النظر عن الرؤى المادية التي يحملها تختلف في النسق التفكيري من فرد لآخر، فعندما يقل سقوط المطر في اي عام من الأعوام تجد الناس يصرخون ويستغيثون بالرب أن ينعم عليهم بالمطر في رقعة جغرافية خالية كنوع من التبجيل، ارتباط التاصيلات المعنوية ترسم ملامح فكرية على التوجهات العقدية.

---

[1] توما الاكويني، كتاب الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: الخوري بولس عواد(بيروت: المطبعة الأدبية، 1881)، ص12.

الرغبة في الحصول على اي أمر تمثل دافع حقيقي للحصول عليه في اي وقت كان، إرادة الإنسان محدودة لكنهُ يمتلك رؤية غير متناهية الأبعاد في فكرتهُ الذاتية، ما تعجز المادة في الحصول عليه(ممثل في الجسد) فإن التضرع للإله ومحاولة استشعار الحصول عليه يفضي إلى سعادة قيمية، الإنسان يحتاج إلى الامل جرى اي عمل من أجل أن يهدأ ويحصل عليه لاحقا، وهذا النوع من التخدير الفكري الأيديولوجية ومن هنا تكمن قوة سطوة الدين على الفرد، في حين أنه عندما يكون الإنسان تحت تأثير بعض المظاهر اللاهوتية فقط في تأثيرات الشعور، فإنه يضع جوهره دون أن يضع ذاته(الرؤية المادية) ؛ فهو يعامل الجماد ومن ليس له إرادة على إنه تنبعث منه الحياة مثلّ أي شيء ذي إرادة، تؤدي إلى شروخات فكرية في تداعياتهُ الفكرية الفردية، في ظل قياسات التوجهات الفكرية لأي فرد تكمُنّ في الشعور الفردي نحو تلكَ الأفكار التي يحملها كلّ فرد وفق الرؤى اللاهوتية، لكنّ معضلة ذلكّ الحساس إنهُ قاصرّ على نفسهُ وذاتهُ حالٌّ من المعنى والقيآس الذاتي، الرغبة العبادة هيَ عبادة بحد ذاتها.

جوهر الأيديولوجية، يتمثل في الاعتقاد بكل تلك الأفكار التي يحملها الفرد ماديا أو معنويا التي تنطلق من الرغبة كما اسلفنا، الشعور الذي يفضي إلى وجود شخص خارق ووجود احداث خارقة تؤدي إلى دهشة فكرية فردية من شانها ان تؤثر في الرؤية المادية الفردانية، التحرر من قيود الطبيعة حالة مثلى للوصول إلى الكمال البشري وان كان هذا الكمآل بحد ذاته قاصر لا سيما في دلالات البناء الفكري الفردي، كل الأفكار التي تحقق السعادة للفرد لا طائل منها، فإن الهدف الأساسي من تقمصّ اي فكرة يحب أن تمنح للأشخاص المؤمنين فيها نوع من

السعادة التي تنتشلهم من البقعة المظلمة التي هن فيها[1].

الرؤية المادية، بالرغم من إنها جامدة وتمثل عنصر اكراه ملموس ومحسوس للفرد لكنها تبقى مؤثرة على التوجهات السلوكيات والنفسية الفردية التي يسعى الفرد لمعرفتها من خلال البحث في اعماقه هما يريد (بدلالة الرغبة)، حيث تشكل رؤية جزئية أو كلية نصف تجاه اي موضوع مهما كان، لو افترضنا إن الحياة تخلوا من اي ايديولوجية فإننا نطلق حكم مسبق على عدمية الحياة، إذ تغدوا دون معنى في كل نواح وجودها، فقد يمثل الفكر المبعثر في ارجاء الوجود مثل القطع المبعثرة دون تنظيم أو تركيب، لذلك تعمل الأيديولوجية على تنظيم تلك التشوهات المادية في محيطها المادي وتأصيل فكر بنيوي هادف لإقامة رؤية شمولية.

شمعة الفكر هيَ شعلة من الايمان الذي يتقمصهُ الفرد وجوديا، فإن اي محاولة لعدم الايمان أو تزييف هذا الايمان يجعل من هذا الفرد فاقد للوجود وللمعنى في هذه الحياة، كل المعتقدات ليست سوى قيم وأفكار أنية اعتنقها الفرد لحظيًا في وجوده، إلا إن ما يحدد ما يؤمن فيه هو الذي. يعمل عليه ويطبقهُ ولا يكاّد أن ينفكّ منهُ، حتى الشيطان يملك ايديولوجية، فإن كل فكرة تمثل محلّ وجود هي معتقد يعتقده فيه الإنسان أو الشيطان، الخير ليس صفة مطلقة ولا الشر ذمّ مطلق، النسبية هي الفيصل داخل روح الإنسان، يأخذ الإنسان يفسر الأحداث تفسيرات للاهوتيًا(دينيًا)لكل حدث يحدث معهُ لكن سرعان ما يقوم

---

[1] لودفيغ فيورباخ، أصل الدين، ترجمة: احمد عبد الحليم (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991)، ص75-77.

بتفسير الأحداث تفسيرًا فلسفيًا عندما يؤمن بالفلسفة، المعضلة إذا اندمج الدين مع الفلسفة في اطار محدد يصبح الفرد الذي يملك هذه الملكة اكثر حكرًا على الوجود بتقديم تفسيرات منطقية لأشياء غير منطقية.

يؤثر الإنسان على الطبيعة بشكل مهول عبر كشف زيف الطبيعة التي تسير من خلالهُ، ارتباط دينامي فكري يكّاد أن لا يفصل بينهما سيء سوى إن عودة الإنسان إلى الطبيعة وما يرافقها في وجودهُ، اثراء الفلسفة المادية ينطلق من اعتبارات مادية الهدف منها تقنين تصورات ومنحها بعد غائي الهدف منهُ تأطير فكرة الأنا الفردي والجماعي، وهذا ما يلاحظ على كل الأيديولوجيات إنها تسير في نسق واحد جميعها تبحث عن الخلاص البشري من عباءة التفكير المفرط وسيطرة الذات الفردية عليها والسعي للوصول إلى مرحلة القبول الالهي لها، إن كانت ذات رؤى دينية، أو تبحث عن احلال السلام وترسيم الفكر المادي إن كانت ماديًا (طبيعيًا)، لذلك نجد كل واحد تسير بمعزل عن الاخر كدلالة أفكار.

مصير الإيديولوجيات لا يختلف كثيرًا عن مصير الإنسان، مهما غيبت الحقيقة لنّ يطول ذلك فإن انبثاقها مره أخرى أمر محتوم في دورة حياتها الفكرية، لأن جذر التأريخ ادلج من خلالهُ الإنسان معالم وجودهُ فيه، وهذا ما يؤسس في متنّ الديمقراطية حقيقة تجلتّ في عدم امتلاك الذات، إذ سوف يشهد العالم ما يشبه شيئًا ما الغفلة يزال في طور الطفولة بنظر الجميع وحيث لم يتواجد قبل موطن الإنسان أو مسقط رأسه، ولكن حيث يبدأ التفكر الفلسفي ينتهي هذا العرض البسيط وهو ما كانت تنحصر به مهمة الوجود البشري، فقد ترددت الأفكار في اذهان اصحابها قبل أن ترى النور فلا يؤدي اي عمل فاعليتهُ إنّ لمّ

يجدّ منفذ انساني لهُ[1]، واقرب الدلالات على ما تم ذكرهُ في سفر يوحنا اللاهوتي عن مدينة بابل(العراقية) وكيف أثر السبي اليهودي على الفكر اللاهوتي اليهودي ككل، فقد قالّ "وَسَيَبْكِي وَيَنُوحُ عَلَيْهَا مُلُوكُ الأَرْضِ، الَّذِينَ زَنَوْا وَتَنَعَّمُوا مَعَهَا، حِينَمَا يَنْظُرُونَ دُخَانَ حَرِيقِهَا"[2].

وفي نفس السياق تنّاول سفر يوحنا اللاهوتي فقرات أخرى تتناولّ دلالات تؤدلج من خلالها إيديولوجية تجاه بلاد الرافدين، ترسخها في اذهنا اليهود المتدينين والمسيحين في آنّ واحد، فقد جاء فيّه "وَرَفَعَ مَلاَكٌ وَاحِدٌ قَوِيٌّ حَجَرًا كَرَحىً عَظِيمَةٍ، وَرَمَاهُ فِي الْبَحْرِ قَائِلاً: «هكَذَا بِدَفْعٍ سَتُرْمَى بَابِلُ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ، وَلَنْ تُوجَدَ فِي مَا بَعْدُ. 22 وَصَوْتُ الضَّارِبِينَ بِالْقِيثَارَةِ وَالْمُغَنِّينَ وَالْمُزَمِّرِينَ وَالنَّافِخِينَ بِالْبُوقِ، لَنْ يُسْمَعَ فِيكِ فِي مَا بَعْدُ. وَكُلُّ صَانِعٍ صِنَاعَةً لَنْ يُوجَدَ فِيكِ فِي مَا بَعْدُ. وَصَوْتُ رَحىً لَنْ يُسْمَعَ فِيكِ فِي مَا بَعْدُ. 23 وَنُورُ سِرَاجٍ لَنْ يُضِيءَ فِيكِ فِي مَا بَعْدُ. وَصَوْتُ عَرِيسٍ وَعَرُوسٍ لَنْ يُسْمَعَ فِيكِ فِي مَا بَعْدُ. لأَنَّ تُجَّارَكِ كَانُوا عُظَمَاءَ الأَرْضِ. إِذْ بِسِحْرِكِ ضَلَّتْ جَمِيعُ الأُمَمِ. 24 وَفِيهَا وُجِدَ دَمُ أَنْبِيَاءَ وَقِدِّيسِينَ، وَجَمِيعِ مَنْ قُتِلَ عَلَى الأَرْضِ"[3].

---

[1] يورغن هابرماس، الفلسفة الالمانية والتصوف اليهودي، ترجمة: نظير جاهل(الرباط: المركز الثقافي العربي، 1995)، ص85-88.

[2] سفر يوحنا اللاهوتي، (18: 9).

[3] سفر يوحنا اللاهوتي، (18: 20-24).

وفي هذا النص اللاهوتي يلمح الكاتب للنص إلى الوعد والوعيد اللاهوتي ذو النسق الأيديولوجي نتيجة المعاملة السيئة التي تلقوها من مدينة بابل اثناء السبي الذي قام به الملك البابلي نبوخذنصر، وها هو الرب سوف يلحق الهزيمة بالدول التي تمثل الشر الذين ظلموا شعب الله المختار وفق الاعتقاد اللاهوتي اليهودي والصهيوني، بالرغم إن هنالك خلافات حول التعامل مع النص التوراتي، إذ ترى الجماعات اليهودية المتشددة ضرورة التمسك بالنص اللاهوتي وعدم الخروج منه مطلقاً، وتبنى هذا الاتجاه الحريديم وخاصة فرقة يهودية تعرف باسم "ناطوري كارتا" اي الالتزام النصي بالتعاليم التوراتية.

أما الاتجاه الثاني فيتمثل في الجماعات التي ترى بأن عدم الالتزام بالنص التوراتي ليس خطيئة، ويمكن الاعتماد على التلمود في التفسيرات اللاحقة للتوراة، وهذا الامر موجود لدى الفرق التي تتوافق مع توجهات اللاهوتية الصهيونية وخاصة الجماعات المسيانية أو المسيحانية، وهي جماعة يهودية - مسيحية ترى بأن الخلاص اليهودي جزء من الخلاص المسيحي، تتمثل في الطائفة البروتستانتية المسيحية، لكنّ كلاهما متفق على ضرورة اللحاقّ الضرر في بابل التي أذتّ اليهود والمسيح على حد سوى وفق الاعتقاد اللاهوتي[1].

[1] إميل أمين، ذئاب في ثياب حملان مختصر قصة الأصولية الأمريكية(القاهرة: دار المريخ للنشر، 2005)، ص162-165.

الفصل الثالث

الرؤية المادية في الفكر الأصولي اليهودي

توظيف الأفكار اللاهوتية اليهودية في المشروع التوراتي تخضع لقياسات المعنى والدلالة الذاتية البنيوية الفكرية لكلّ من الرؤية اللاهوتية اليهودية فضلاً عن الرؤى الكامنّة في غياهبّ الفكر الاصولي الصهيوني، حيثُ ينجمّ عن تلكَ الرؤية تشوهات فكرية تأخذ حيّز فكري أعمق تتأصل في المستدركاتّ اللاهوتية، اسبقية الفكر اللاهوتي على الفكر المادي النقدي الاصولي الصهيوني أولجتّ وهنّ في البنية الفكرية، وهذا ما سوف يتم تناولهُ بشكلّ مفصلّ من خلال المدركاتّ الرحية والمادية الفكرية اليهودية وكيف أثرت في الفكر الاصولي، كما مبين أدناه، هوَ:

أولا: شعب الله المختار

يرتكز الفكر اليهودي على رؤية روحية مادية قيمية كامنة في روح الفرد اليهودي، تتأثر بشكل بنيوي في معطى التجليات الروحية، تمثلت في بدايتها في نبوءة شعب الله المختار التي تؤمن فيها الجماعات الأصولية اليهودية والأصولية الصهيونية على حد سوى، فقد شكلت هذه الأسطورة المرتكز الأساسي الذي يعتقد فيه اليهود، فقد قامتّ الدولة اليهودية كما تعتقد بها الجماعات الأصولية الصهيونية المتشددة التي تعرف باسم "إسرائيل" بالرغم من وجود خلاف حول شرعية ومشروعية هذا الكيان، بناء على اختلاف التأويل القيمي للنص

اللاهوتي، حيث جاء في التوراة نص للاهوتي يؤكد ذلك، وهذا ما اوردتها "التوراة" في اكثر من موضع "انك شعب مقدس للرب الهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الارض"[1].

فقد جاءت في التلمود ما يعزز تلك الرؤية الأصولية في دلالاتها الذاتية، لا سيما إن الإعتقاد الجازم في ذهن الفرد اليهودي يقوم على أساس إن الشعب اليهودي هم شعب مقدس ولهم ومكانة خاصة لدى الذات الإلهية التي اولجت حاجة إلى الدفاع عن مكانة الذات اليهودية من دنس الاممية، حيث اشار التلمود بأن مكانة اليهود عند الرب أقرب من الملائكة، وإن الذات اليهودية إن تعرضت لأي ظلم فإن الظلم سوف يقع على الرب(دلالات قياسية) مما ينجم عنه سخط الرب على تلك الامم فاعلة الشر، ووجب على باقي الأفراد في كافة ارجاء الوجود من الجويم[*]، (غير اليهود) السعي للحفاظ على مكانة اليهودي وحمايته من اي خطر ممكن أن يقع عليه، بناءً على رؤية "حلوليه كمونيه[**]"

---

[1] سفر التثنية، (14: 2).

[*] كلمة عبرية تأتي دلالاتها في اللغة العربية على الافراد الذين لا ينتمون للشعب اليهودي. ينظر: إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة، حسن خضر(القاهرة: سينا للنشر، 1994)، ص132.

[**] هو المذهب القائل بوحدة الإنسان الطبيعة وإن أصلهم واحد بناءً على الوحدانية الصارمة للوجود المادي، الدارونية أو النيتشوية(مثلًا).
ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(القاهرة: دار الشروق للنشر، 1999)، ص165.

تتأصل في انبثاق الذات الإلهية من الجسد اليهودي، وإن روح الجويم (غير اليهود) هي روح شيطانية عبثية[1].

لم يقتصر الأمر في افضلية أو اسبقية الوجود اليهودي في العالم بقدر ما يجب أن تضطلع تلك الرؤية مع بعد سلطوي، فقد جاءت نصوص للاهوتية تدعوا إلى قيادة الفرد اليهودي للعالم، مثلما ولد في سفر الخروج، فقد قال "فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب و قدسهم اليوم و غدا و ليغسلوا ثيابهم"، بمعنى أدق إن على الفرد اليهودي المخلص أن يقوم بتحقيق الارادة الإلهية في الأرض من خلال تطبيق النص اللاهوتي (رؤية الجماعات الأصولية اليهودية) رغم الاختلاف مع مضمون النص اللاهوتي الصهيوني (رؤية الجماعات الأصولية الصهيونية) التي تتفق الأصولية اليهودية في المعنى الدلالي وتختلف في البعد القيمي التطبيقي الممثل في الاستدلال بالنص والعمل تطبيقات مقاربة التي انبثق منها المشروع الاصولي الصهيوني، ناهيك عن المؤثرات النفسية على كينونة الفرد اليهودي وما يلاحقها من تصدعات في الأنا الفردي اليهودي، وهذا إسقاط روحي مورفولوجيا للرؤية الفردانية[2].

راديكالية الإعتقاد اللاهوتي اليهودي في ذهبت إلى ما هو أبعد، حيث يرى اليهود إن الجويم (من غير اليهود)هم مجموعة من المخادعين والسفلة يجب استعبادهم، فإن الفرق بين اليهودي والغير يهودي مثل الفرق بين الإنسان

---

[1] آ. كوهن، التلمود عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين حول: "الاخلاق، الادب، الدين، التقاليد، القضاء"، ترجمة: سليم طنوس(بيروت: دار الخيال للنشر، 2005)، ص48-51.

[2] سفر الخروج، (19: 10).

والحيوان، وهذا ما يلاحظ في مراسيم الاعياد إذ يحق لليهودي اطعام الكلب ولا يطعم الفرد الغير يهودي (رؤية يهودية متشددة)، تلك الرؤية ناجمة من تصورات مغلوطة لدى الفرد اليهودي التي ترى في إن غير اليهود يرمون إلى الخلاص من اليهود من خلال قتلهم ونفيهم، من خلال استحضار تجليات الذاكرة التاريخية وما عاشهُ اليهود من ظلم على يد حضارة بلاد الرافدين (سبي اليهود) والظلم الذي وقع عليهم في العصور الوسطى والى يومنا هذا من العالم المسيحي (وفق الاعتقاد اليهودي)[1].

توظيف اللاهوت ومنحهُ بعد ايديولوجي يمنح غطاء مزيف لفكر للاهوتي أصولي، فقد عملت الجماعات الأصولية اليهودية وعلى راسها الحريديم على اللحد من جماح الصهيونية في ادلجة الفكر اللاهوتي اليهودي خاصة في عملية هجرة يهود الشتات[*]الى أرض فلسطين في مطلع القرن الماضي، عبر منح تلك الهجرة بعد للاهوتي أصولي صهيوني مزيف وفق رؤية الجماعات اليهودية المتدينة، ترى الصهيونية في عملها هو تمهيد لتحقيق الخلاص للشعب المختار من ظلم الاممية.

---

[1] مجموعة مؤلفين، فهم التلمود مختارات مع مقدمات، تحرير: ألان كوري، ترجمة: سامي محمود الإمام(القاهرة: المركز القومي للترجمة(2240)، 2017)، ص414-419.

[*] مصطلح عبري معناهُ في اللغة العربية بدلالات (المنفى) الذي نفيّ إليه اليهود بسبب عدم اتباعهم تعاليم الرب بعد تدمير مملكة داوود.
ينظر: عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية الصهيونية(القاهرة: دار الشروق، 2006)، ص71.

وذلك من خلال إقامة وطن قومي لهم في بدلاً من دولة فلسطين[1].

لان الأواصر التي تجمع اليهود القابعين في الشتات واليهود الذين يعيشون في داخل "إسرائيل" روابط للاهوتية وليست روابط ذات ابعاد سياسية (الجنسية "الإسرائيلية" مثلا)أو ابعاد قيمية اجتماعية بفعل اختلاف مناطق وجود اليهود في مختلف اصقاع العالم، الحنين إلى اورشليم اولج وازع أصولي يروم لتحقيق خلاص للاهوتي مفتعل، لا سيما إن الفرد اليهود يشعر بالترابط الروحي بينهُ وبين أرض صهيون وإن مر على تدمير مملكة داوود قرابة (2096 عام)، الأمر الذي أوجد للجماعات الأصولية الصهيونية منفذّ من خلاله يمكن أن تمرر أفكارها الأيديولوجية، ويلاحظ ذلك عند ذكر "هاتفكا" وهو النشيد الوطني الخاص "بإسرائيل"، تجسيد للدولة اليهودي المذكورة في التوراة، يأتي بدلالة إن شعب الله المختار واحد ودولتهم هي دولة واحده "إسرائيل" بدلاً من فلسطين بناء على الرؤية التوراتية[2].

تحرير اليهود من اغلال المادية تتمثل في ادلجة الفكر الذاتي الإنساني للفرد اليهودي، فقد عبر وايزمن ابرز رواد الصهيونية عن أهمية تحرير الذات اليهودية، عندما قال إن اليهودي لا يمكن أن يكون سيد نفسه أو أن يكون اليهود هم سادة أنفسهم في داخل هذا العالم مترامي الأبعاد إلا من خلال توحيد الجهود اليهودي

---

[1] زفي فيربلوفسكي، من الفكر الصهيوني المعاصر، ترجمة: مركز الدراسات الفلسطينية (بيروت: مركز الدراسات الفلسطينية، 1968)، ص51-53.

[2] الفريد ليلينتال، ثمن إسرائيل، ترجمة: حبيب نحولي وياسر هواري (بيروت: منشورات دار الافاق الجديدة، 1981)، ص142-144.

في كافة ارجاء العالم والهجرة من أرض الشتات (المنفى)الى أرض فلسطين (بدلالات أرض صهيون)، لان هذه الأرض هي أرض اليهود وحدهم التي وعدهم الرب فيها في العهد القديم، فإن لا مكان أو خلاص يمكن أن يتم إلا من خلال الذهاب نحو أرض الرب ويعيش شعب الرب فيها ليتحقق الخلاص اليهودي، ومن خلال عملية التحول واندماج اليهود في أرض فلسطين واعلان ما يعرف باسم "إسرائيل" من شانهُ أن يحافظ على المؤهلات العلمية التي يمتلكها اليهود من الضياع، في صدد توظيف جُلّ القدرات المادية في احلال المشروع الاصولي وديمومته لأكثر وقت ممكن[1].

امتداد جذور الفكر الاصولي أدى إلى وجود تصريحات معلنة الهدف منها تشجيع الهجرة إلى داخل "إسرائيل" بهدف توحيد الصف اليهودي وفق الإعتقاد الاصولي المادي الصهيوني من خلال نسق فكري أحادي التوجه، فقد قال بن غوريون العودة إلى لفلسطين قبل الإعلان عن قيام "إسرائيل" وبعد الإعلان عنها واجب للاهوتي واخلاقي يجب أن يتحلى به كل يهودي مخلص لأنها تمثل أرض الاباء والاجداد، الهدف من هذا القول هو اثراء النفس اليهودية والتأثير في وجدان الفرد اليهودي من خلال حب صهيون، حيث يرى جابوتنسكي زعيم الصهيونية التصحيحية، إن العودة إلى اورشليم من خلال الشعب المختار من شانه أن يعمق الشعور القومي لليهود (وفق الإعتقاد اليهودي)، وإن ذهاب الشعب المختار إلى فلسطين سوف يمثل الكل الأفضل

---

[1] Chaim weizman,Trial anad Error : The Autobigraghy of chaim weizmang ,p206-225.)Harper and Row,1949 :New York(

والامثل لحل كل المشاكل التي يعاني منها أفراد الشعب اليهودي الذين يعيشون في الشتات، في المؤتمر الصهيوني السادس للعام 1931[1].

مسألة الشعب المختار في الرؤية اللاهوتية اضحت محلّ مغالطة اصولية بين الفرق اللاهوتية اليهودية والفرق الصهيونية، فكل من الأخرى ترى في الأخرى محل نقيضّ للوجود المعنوي (كمعنى غائي) على اقل تقدير، لان اغلب الاقليات اليهودية والبتّ في مصير الشعب اليهودي جعل من الوجود اليهودي في خطر محدق ومؤثر بشكل فعال من المنظور اللاهوتي للجماعات المتدينة، لا سيما إن الجماعات الصهيونية والصهيونية كحركة هي مارقة من التعاليم التوراتية، إذ لا تتبع النصوص اللاهوتية بقدر ما تبحث عن تفسيرات في التلمود والمشناة والجمارا توافق تطلعاتها وتوجهاتها الفكرية[2].

وعليه يمكن القول أخيرا، إن أسطورة شعب الله المختار مثلتّ نتيجة جديدة لفكرة ذات بعد أصولي تتسم بالحداثة الهدف منها تقسيم العالم الذي قسم على شقين الأول يتمثل في اليهود المخلصين للرب، اما الثاني فقد وضع فيه اليهود الغير مخلصين للمشروع الصهيوني الذي اخذ قداسة للاهوتية فاقدة للمعنى مع الاغيار.

---

[1] الفريد ليلينتال، مصدر سبق ذكره، ص142.

[2] كارل ماركس، حول المسالة اليهودية، ترجمة: نائلة الصالحي(بيروت: منشورات دار الجمل للنشر، 2017)، ص33_34.

(اي الامم الأخرى التي لا ترتبط بارتباط مع الشعب اليهودي) [1].

لأن توظيف الفكرة المقدسة في غير محلها يؤدي إلى تشظي الايمان في داخل الفرد، من خلال الاعتماد على حق تاريخي جدلي غير متفق عليه بيت اليهود والعرب واليهود وغير اليهود ككل، الذي تم من خلاله رسم خارطة طريق الأصولية الصهيونية في تأسيس "إسرائيل" في مطلع العام **1919**، مع وضع حدود مزيفة للوطن القومي لم تضع البعد الاصولي الذي تدعيّ به محل اعتبار، أثناء الانتداب البريطاني على دولة فلسطين آنذاك[2].

ثانيًا: أرض الميعاد

تجسد أسطورة أرض الميعاد من أهم المرتكزات الروحية الأساسية للفكر "الإسرائيلي" التي وظفتها الأصولية الصهيونية في مشروعها السياسي، من خلال استخدامها كحق شرعي دلالي للاهوتي لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين التي أصبحت تعرف باسم "إسرائيل" وهذه التسمية مستمدة من نصوص سفر التكوين وتأتي بمعنى "أرض إسرائيل"، هذه العملية جسدت خروج المادة من المعنى، اي بدلالة تطبيق البعد اللاهوتي (المعنوي) وتطبيقهُ على أرض الواقع

---

(1) روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية(القاهرة: دار الشروق، 1998)، ص54-56.

(2) روجيه جارودي، ملف إسرائيل: دارسة للصهيونية السياسية، ترجمة: مصطفى كامل(القاهرة: دار الشروق، 1983)، ص33.

"إسرائيل"، تأصيل للمعنى الفلسفي اللاهوتي ومنحهُ نسق ايديولوجي[1]، وهذا ما اشارت اليه التوراة في سفر الخروج فقد جاء فيه "وأعطي نسلكم كل هذه الأرض الذي تكلمت عنها فيملكونها للأبد"، تُمثل احقية اليهود في أرض فلسطين بأنها أرض الميعاد التي امر الرب بإعطائها للشعب المختار (كناية اليهود) وفق نبوءات العهد القديم، حيثُ أثرت بشكل كبير على فكرة الايلاء النبوئي اللاهوتي في الفكر اليهودي[2].

الواقعة التاريخية اولجت تخبط صريح بين الفرق والجماعات الأصولية اليهودية والصهيونية، بالرغم من وجود خلاف كامن حول اسبقية وجود الفكر بين المادية النقدية الصهيونية والمادية اللاهوتية اليهودية (ممثلة بالجماعات)، وهذا الاثراء الفكري تزعمهُ الفيلسوف اليهودي ذو الاصول الألمانية موسى مندلسون الذي دعى إلى ضرورة التخلص من التفكير النمطي للتأويل اللاهوتي وللنص الديني الجامد مع ضرورة التأكيد على التحرر بالتفكير بعد أن اشار إلا إن قدسية أرض الميعاد في الفكر اللاهوتي تجسد مرتكز للاهوتي في ترسيم معالم الخلاص اللاهوتي اليهودي مهما حاولوا الخروج من بودقة الفكر الفردي نحو فكر جمعي، متأثر في ذلك الوقت بالمبادئ الفرنسية والمادية السائدة في القرن الثامن عشر، الأمر الذي أدى إلى وجود خلافات حادة بين مندلسون والتيارات اللاهوتية التي تدعوا إلى التمسك التام بالتعاليم اللاهوتية، التي كانت تقف بالضد من التحرر اليهودي وترى في مثل هذا العمل خطيئة كبرى يعاقب عليها

---

(1) احمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000)، ص10-13.

(2) سفر الخروج، (32: 13).

الرب، بعدما مثل فلسفة ذلك العصر بالانعزال عن العالم بصفة عامة والعالم الغربي بوجه الخصوص، عرف باسم "الجيتو اليهودي" الذي يرى بضرورة انتظار المنقذ المخلص اليهودي وفق رؤية الميسيا[1].

وفي جانب اخر دلّ التوراة شروط الوعد اللاهوتي الالهي لليهودي وفق الاعتقاد الاصولي (اليهودي والصهيوني)، الذي من خلالهُ استطاعت الجماعات الأصولية الصهيونية الحصول أرض الميعاد التي وردت في الناموس (التوراة) فقد جاء في سفر التكوين دلالات ومعالم ومكانّ وجود أرض الميعاد حيثُ قال "واجتاز ابرام إلى مكان شكيم إلى بلورة مورة. وكان الكنعانيين حينئذ في الارض، وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"، وهذه اشارة إلى إنّ أرض الميعاد تتمثل حدودها من الفرات (العراق) والنيل (مصر)، وهذ يشكلّ وهن اصولي لأن "إسرائيل" لا تغطي هذه المساحة حاليًا وهي مخالفة للرؤية التوراتية، مما يجعل مشروع الحركة الصهيونية نقيضّ تامّ مع الرؤية التوراتية، ومن هنا يثآر الجدل[2].

الفناء والخطيئة مترابطان جدليًا في رؤية الفكر اللاهوتي المادي اليهودي، الذي أصبح يلاحظ التغيرات التي طرأت في داخل مجتمع الشتات وما يلاقي الفرد اليهود من عداء فردي شخصي أو كلي جماعي ما هية إلا دلالة لغضب الرب على اليهود الذين غيروا وحرفوا النصوص التوراتية اللاهوتية، أدى إلى نتائج عكسية

---

[1] مجموعة من الكتاب السوفيت، الصهيونية نظرية وممارسة، ترجمة: يوسف سلمان(بيروت: دار الطليعة، 1974)، ص16-18.

[2] سفر التكوين، (18:15)

من شانها ان تؤثر الخلاص اليهودي في العودة إلى أرض الرب وتحقق الفناء اليهودي، خاصة الأحداث التي وقعت في الأراضي البولونية في نهايات القرن السابع عشر، ازدادت أوضاع اليهود الاجتماعية سوءً بعد الثورة الروسية وتنامي وجود القوميات افضى إلى سبيل واحد وجود قومية يهودية تدافع عن احقية اليهود في الوجود المادي، وهذا ما ترى فيه الجماعات المتدينة بمثابة عقاب الإلهي نزل على اليهود الذين انسلخوا من تعاليمهم اللاهوتية[1].

وهذا يعيد إلى اذهان اليهود تنامي دور التيارات الدينية في داخل الكيان الصهيوني أو ما يعرف باسم "إسرائيل" عندما حاولت حركة مفدال[*] توسيع أرض "إسرائيل" والرجوع إلى الحق التاريخي الذي اشارت إليه التوراة لليهود في داخل دولة فلسطين آنذاك، وهي التي عرفت بصيغة أرض "إسرائيل" الكاملة من الفرات إلى النيل،الامر الذي جعل منها تقدم مشروع استيطاني احلالي بهدف ضم كافة الأراضي الغير مستوطنة إلى باقي ارضي "إسرائيل"، الأمر الذي جعل من حركة مفدال تتخذ من شعار منذ تأسس الحركة في مطلع العام 1956 بأن أرض "إسرائيل" هي من حق شعب الله المختار، الأمر الذي ادخلها في صدام مباشر بينها وبين الحركات الصهيونية التي ترى بأن تأسيس الوطن القومي والحصول على أرض الميعاد لا يتم من خلال الكتاب المقدسة إنما من خلال ايديولوجية عمل

---

[1] جـ هـ. جانسن، الصهيونية وإسرائيل واسيا، ترجمة: راشد حميد(بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1972)، ص50-53.

[*] حركة يهودية دينية قومية متشددة، نشاءة بعد اتحاد كلا من مزراحي وهبوعيل مزراحي في العام 1956م.
ينظر: كينون مأمن، "الحياة الحزبية الإسرائيلية نشأتها: سيرورتها، آفاقها"، جامعة الدول العربية_الامانة العامة، العدد94(القاهرة:1998)، ص159.

خاصة، الأمر الذي جعلها تفقد مصداقيتها في حمل لواء الحلم اليهودي وتمثل شرخ فكري للمفهوم التوراتي[1].

صهر التصورات المادية الفكرية ذات إطار يتمثل في أيديولوجيات مغايرة للرؤى القيمية المادية، مع البناء اللاهوتي الاصولي، تتأثر الفواعل طرديا من نسقها الوجودي، فنجد نفور ايديولوجي مع تقبل للاهوتي للرؤى في بنيوية الفرد الفكرية، فقد عملت الأصولية الصهيونية على تشكيل نظام سياسي منيع إلى حد ما للتغيرات الناجمة في أيكولوجية مجتمع الشتات، إذ يلاحظ عندما تم تأسيس نظام سياسي عمل على استيعاب حملات الهجرة الجماعية الغير منتظمة من الشتات والى "إسرائيل"، وهذا الأمر يحدث حاليًا، عبر توظيف ادوات النقل المرئية والغير مرئية السماعية والصورية (برامج التلفاز والسوشيل ميديا)، من خلال إثارة العواطف لليهود في كافة بقاع العالم للذهاب إلى أرض الرب "إسرائيل" وفق الإعتقاد الاصولي المادي الصهيوني والمعنوي اليهودي[2]، بعد أن وظفت النصوص اللاهوتية في عملها الاصولي فقد استدلت على ما ورد في سفر يشوع حيثُ جاء فيه "كل موضع تدوسه بطون اقدامكم لكم اعطيته كما كلمت موسى"، لإظهار مدى الارتباط العقائدي بين أرض الميعاد وشعب الله المختار بهدف تحقيق الوعد الالهي، وهذا ما لوحظ في مطلع العام 2017

---

[1] William Frankel , Israel observed ,(London: Themesand and Hudson , 1980),p198.

[2] باروخ كيمرلينغ، المجتمع الإسرائيلي مهاجرون مستعمرون مواليد البلد، ترجمة: هاني العبدالله(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص246_250.

عندما تم الاعلان عن القدس عاصمة "لإسرائيل" كتفسير اسكولائي للمفهوم التوراتي[1].

جدلاً، إن التوجهات الأصولية التي عملت على اجتياح لبنان بريًا لم يكن الأمر وليد تفكير استراتيجي أو تعبوي بقدر ما هو تحقيق للوعد اللاهوتي، وهذا ما نص عليه في سفر نشيد الانشاد، فقد قال "هَلُمِّي مَعِي مِنْ لُبْنَانَ يَا عَرُوسُ، مَعِي مِنْ لُبْنَانَ! انْظُرِي مِنْ رَأْسِ أَمَانَةَ، مِنْ رَأْسِ شَنِيرَ وَحَرْمُونَ، مِنْ خُدُورِ الأُسُودِ، مِنْ جِبَالِ النُّمُور"، فقد مثلت حجج للجماعات الأصولية لغزو لبنان ومن ثم التوجه إلى سوريا والعراق والعودة إلى مصر لتحقيق وعد الرب في أرض الميعاد التي تتجسد في تأسيس ما يعرف باسم "إسرائيل الكبرى"[2].

بعدما تحدث رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتنياهو عن هذه الاشكالية، حيث يرى إن وجود دولة فلسطين في الضفة الغربية تشكل خطر مباشر على "إسرائيل" والوجود اليهودي ككل، فإن خطر دولة فلسطين يتمثل في وجود بعد اسلامي ديني يرفض وجود "إسرائيل" ويتوافق ما الرؤية الوقتية للجماعات اللاهوتية اليهودية جنبًا إلى جنب مع وجود بعد لغوي رافض للكيان الصهيوني يهدد امن وجود "إسرائيل" من الزوال، وهذا الأمر يتوافق مع رؤية ناطوري كارتا الحريدية التي ترى بانه "إسرائيل" هرطقة صهيونية ومصيرها سوف يكون الزوال والفناء لأنها لا تمثل إرادة شعب الله المختار، مع إمكانية تنامي الخطر على الوجود اليهودي في منطقة شبه الجزيرة العربية، هذا الأمر دفع

---

[1] سفر يشوع، (1: 3).

[2] سفرنشيد الأناشيد، (8:4).

إلى ضرورة وجود استراتيجيات يتم من خلالها تحقيق الوعد اللاهوتي وحماية امن "إسرائيل" التي اصبحت ترى في الجماعات اللاهوتية الرافضة لها اكثر خطرًا من العرب وإيران مجتمعين[1].

اما غولدا مائير رئيسة الوزراء السابقة "لإسرائيل" ترى بأن "إسرائيل الحالية" هي جزء محوري ورئيسي من أرض "إسرائيل" الكبرى التي اوردت في التوراة، فقد اثارت سلفًا مسألة ضم اراضي قطاع غزة إلى "إسرائيل" لأنها ضمن أرض الميعاد التي وعدم الرب بها عباده الاحرار وفق الاعتقاد الاصولي المادي، وإن هذه السياسة لم تمثل سياسة مائير بقدر ما كانت سياسة اصولية تنتهجها الحركة الصهيونية في ادارة مشروعها الفكري القائم على منطلقات عقائدية مزيفة تعمل على طمث الهوية اليهودية.

وفي سياق آخر يرى مناحيم بيغن إن الوجود اليهودي بغض النظر عن قدسيتهُ واحقيته من المنظور التوراتي للجماعات اليهودية، فإن حدود "إسرائيل الكبرى" تشكل ملكية واحقية لكل اليهود ويجب الحصول على تلك الملكية بشتى الطرق، بعدما اشار إلى أن قطاع غزة جزء لا يتجزء من "إسرائيل"، بعدما تحدث ديفيد بن غوريون إن ضم الأراضي القريبة تمنح بعد امني للأمن القومي للكيان الصهيوني في اطارها الاقليمي والعالمي، لا سيما إن الشرق الأوسط يمثل دائرة صراع اخذت منحى أعمق تجسدت بين الجماعات الأصولية الصهيونية والأصولية اليهودية، الأمر الذي دفع النخب السياسية في داخل "إسرائيل" إلى

---

[1] بنيامين نتنياهو، مكان تحت الشمس، ترجمة: محمد عودة الدويري(عمان: دار الجليل للنشر، 2015)، ص400-409.

اتباع استراتيجية محاولة احتواء الوضع في داخل البيت اليهودي الذي أدى إلى ضرر كبير في المشروع الصهيوني[1].

اراء شمعون بيريز واجهة سخط كبير في داخل البيت الصهيوني، عندما تحدث عن مسألة ضرورة وجود حدود مرنة يجب أن يتعامل معها الكيان الصهيوني في اطار تعاملاتهُ الخارجية خاصة في ظل تطور الاوضاع الاقتصادية بين الاردن وفلسطين و"إسرائيل"، بالرغم من هذه الاشارة أخذت اقتصاديًا إلا إن تفسيرها تمثل في إسقاط بنيوي على الدولة اليهودية التي ذكرت في التوراة، فقد ذكر بيريز الحدود المرنة بمعنى معالجة لحظية "لإسرائيل الكبرى"، لكن ضعف فهم الأوساط اليهودي لمثل هذه الفكرة أدى إلى نفور عام من البعد الإيديولوجي، لا سيما فيما يخص الاعتبارات اللاهوتية، إذ تتأثر الأفكار طرديًا بالتفاعلات الوجودية بين الفراد وهذا ما يخشاهُ الاصوليين من إن الاندماج اليهودي سوف يؤدي إلى اللحاق ضرر كبير في الرؤية اللاهوتية اليهودية[2].

لا يمكن أن تحصل "إسرائيل" على عمق استراتيجي من شانه أن بيدي إلى خلاص يهودي في ظل وجود عالم لا يحقق الانصاف لليهود (وجهة نظر للاهوتية يهودية)، ففي حال تقبل اليهود الحدود المادية المصطنعة من شانها ان تنهار في اي لحظة، الأمر الذي دفع بن غوريون في مطلع العام 1957 إلى سحب

---

[1] نورالدين مصالحه، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون : سياسة التوسع (1967- 2000)، ترجمة: خليل انصار(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2001)، ص14–17.

[2] شمعون بيريز، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة: محمد حلمي(عمان: الاهلية للتوزيع والنشر، 1994)، ص192-194.

القوات "الإسرائيلية" من اراضي جزيرة سينا وقطاع غزة، وهذا ما فسرهُ مراقبون بأنهُ تراجع ملحوظ للمشروع الاصولي الصهيوني وان مسألة تقدمها خطوة اخرى أمر صعب وعسير جدا، الأمر الذي يدعوا إلى ضرورة تغييرهُ ومنحهُ غطاء اكثر للاهوتية[1]، وقد تكرر الأمر في منتصف العام 1967 لكن بطريقة مختلفة عندما عملت "إسرائيل" على الاستيلاء على العديد من الأراضي من الضفة الغربية وقطاع غزة وجزيرة سيناء، بعد توفير غطاء استراتيجي "إسرائيلي"، في ظل صعود التيارات اللاهوتية المتشددة إلى دفة الحكم في داخل "إسرائيل" آنذاك[2].

واخيرًا، اشكالية الحدود الاقليمية لأرض الميعاد في الفكر الاصولي للكيان الصهيوني بعد أن مثلت معضلة فكرية توراتية قبل أن تكون مشكلة امنية، جاء الحاخام اليهودي يهودا اليستور ابرز حاخامات حركة غوش ايمونيم ووضع حدود مصطنعة "لإسرائيل" مبين إنها جاءت من خلال المصادر اللاهوتية التوراتية تبدأ من منبع نهر الفرات جنوب غربي تركيا ووصولاً إلى اطراف دلتا النيل في مصر، وان عملية التوسع يجب أن تكون نزولاً ليس صعودًا، بمعنى أدق يجب أن تتحرك الجماعات الأصولية بأجندتها في اتجاهين، الأول يتمثل في الخامسة جنوب غرب تركيا والعراق اما الثاني يسير بطريق متعرج من دلتا النيل، مركز الالتقاء في قطاع غزة، دون تحديد نوع التوسع للاهوتي أو

---

[1] ليني برينر، حركة التصحيح الصهيونية : من عهد جابوتنسكي إلى عهد شامير، ترجمة: دار الجليل(عمان: دار الجليل للنشر، 1990)، ص128-130.

[2] مادلين اولبرايت، الجبروت و الجبار : تأملات في السلطة و الدين و الشئون الدولية، ترجمة: عمر الايوبي (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006)، ص120-128.

استراتيجي أو جيوستراتيجي، وهذه محاولة لرسم خارطة الطريق للجماعات الصهيونية في داخل "إسرائيل" وخارجها وفق رؤية حلوليه للاهوتية[1].

ثالثًا: السامية – اللاسامية

الاشتقاق الدلالي لمصطلح السامية نشاءة من تفسيرات العهد القديم متمثل في كتابات سفر التكوين، فقد اورد في التوراة دلالة عن أسماء أبناء نوح، حيث قال "وكان نوح ابن خمس مئة سنة. وولد: ساما، وحاما، ويافث"، حيث يرجع استخدام كلمة الساميين كاجتزاء من اسم سام ابن نوح، أي إن اليهود ترجع جذورهم إليه وهذا ما يفضي قدسية عرقية وفق الاعتقاد اليهودي[2].

إذ يقسم العالم وفقا لترتيب أبناء نوح وقسم العالم من خلالهم، فإن اليهود والعرب يشتركون في سام أبن (نوح)، بالرغم من هذه الرؤية تشكل اشكالية يهودية ترفضها وترى في إن العرب لا يجتمعون مع اليهود في نفس النسل أو العرق أو الاصول ويعتقدون إن العرب فئة دخيلة عليهم (وفق الإعتقاد الاصولي)، اما أصول الأوروبيين فانها تعود إلى يافث الابن الثاني (لآدم)، فيما يخص الأفارقة فإن جذورهم العرقية وفق الإعتقاد اللاهوتي تعود إلى حام أبن (نوح)، حيث يجدر بنا الاشارة إلى تجليات الخطيئة التي قام بها حام الذي حقة عليه حق الدينونة عندما ارتكب الخطيئة الاولى، إذ يذكر في المصادر اللاهوتية وتفسيراتها إن أب العرق الزنجي قام بالاستهزاء بابيه (نوح) عندما كان

---

[1] ايان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: حسني زينة(بيروت: مركز الدراسات الفلسطينية، 1991)، ص119-121.

[2] سفر التكوين، (5: 32).

يرعى الغنم في البادية حينها، وهذا ما يفسر الرؤية الدونية الاصحاب البشرة السوداء في العالم ككل والمجتمعات الغربية بوجه الخصوص[1].

جاء هذا التقسيم للرؤية السامية من خلال كتابات العهد القديم، فقد قسم سفر التكوين العالم إلى شعوب واعراق مختلفة تنسب إلى ابناء نوح، كما جاء في سفر التكوين، فقد قال "20 هؤُلاَءِ بَنُو حَامٍ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ بِأَرَاضِيهِمْ وَأُمَمِهِمْ.21 وَسَامُ أَبُو كُلِّ بَنِي عَابِرَ، أَخُو يَافَثَ الْكَبِيرُ، وُلِدَ لَهُ أَيْضًا بَنُونَ.22 بَنُو سَامٍ: عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ.23 وَبَنُو أَرَامَ: عُوصُ وَحُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ.24 وَأَرْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ، وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ.25 وَلِعَابِرَ وُلِدَ ابْنَانِ: اسْمُ الْوَاحِدِ فَالَجُ لأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ الأَرْضُ. وَاسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ.26 وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ27 وَهَدُورَامَ وَأُوزَالَ وَدِقْلَةَ28 وَعُوبَالَ وَأَبِيمَايِلَ وَشَبَا29 وَأُوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هؤُلاَءِ بَنُو يَقْطَانَ.30 وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ مِيشَا حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَفَارَ جَبَلِ الْمَشْرِقِ.31 هؤُلاَءِ بَنُو سَامٍ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ بِأَرَاضِيهِمْ حَسَبَ أُمَمِهِمْ"[2].

بعدما قامّ اليهود بنسبّ أنفسهم إلى الابن الاكبر لنوح وهو سام، نجد إنّ هذا الانساب خضعت لتباينات فكرية واخطاء قياسية، مثلما حدث في الغاء شعوب اخرى مثل الكنعانيين (العرب)، حيثُ يشير سفر يبرر ذلك من خلال

---

[1] إيلان هاليفي، رهاب الدولة الاسلام وارهاب اليهودية الصورة في المرآة، ترجمة: سناء الصاروط(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص102-105.

[2] سفر التكوين، (10: 20-31).

ارتكاب الخطيئة حق عليهم وضع العرب مع الحامين (الأفارقة) وهذا التقسيم يخضع لرؤية مشوهة خاصة إنّ البناء الوظيفي للجسد يقوم على فكرة وجود جينات وراثية لا يمكنّ أن تتغير بفعل وجود خطيئة وينسبّ إلى أب ثاني، ومن ذلك يمكن القول إن اليهود حاولوا التفرد في السامية لتكنّ لهم سطوة ومكان في العالم وأنهم من انقى الشعوب[1].

الاختلاف المادي بين زعماء الحركة الصهيونية خلق صورة ضبابية للمسألة اليهودية حول السامية وما هيتها الوجودية، فقد تحدث ليون بنسكر وهو يعد من ابرز المفكرين اليهود الذين نادوا بضرورة التحرر الذاتي، اي إن على كل يهودي مخلص يسعى للخلاص اليهودي دون أنتظار المنقذ المخلص اليهودي (الميسيا) بعدما نشر كراس له يحمل عنوان (التحرر الذاتي نداء من يهودي روسي إلى شعبه 1882)، وجاءت بدلالة إقامة وطن قومي لليهودي الذي يعرف حاليا باسم "إسرائيل" بالرغم من وجود مغالطات فكرية للاهوتية بين الجماعات الأصولية اليهودية والصهيونية[2].

حيث يرى ليو بنسكر إن المشكلة اليهودي حول السامية هي نفسية شعورية يشعر فيها الفرد اليهود بجدلية الاغتراب عن المجتمعات التي يعيش فيها وفي دهاليز وجودها اكثر من تلك المجتمعات التي يجب أن يوجد فيها، وهذا المؤثر يشكل جوهر المسألة اليهودية حتى في الوقت الحاضر، فلا يمكن اخذ

---

(1) إيلان هاليفي، مصدر سبق ذكره، ص102-103.

(2) الان رتايلر، مدخل إلى إسرائيل، ترجمة: شكري محمود نديم(بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965)، ص20-22.

القياس في اطرهُ المادي الاقتصادي اكثر مما هو اجتماعي، إذ يجب أن يتوفر وجود غطاء ثقافي يمنح بعد وجودي لليهود في رقعة جغرافية معينة يتم من خلالها جمع الشتات اليهودي فيها، ويلاج وطن قومي لليهود في داخل فلسطين (مثلاً)[1].

أما مصطلح اللاسامية وهي كلمة تأتي بدلالة الكرهُ العميق لليهود من قبل الاممية التي ترى فيهّ محلّ خطر محدق، ويذكر إنّ أول من استعمل هذا المصطلح لأول مره هو الكاتب الالماني في العام **1879** ويليم مار، وكما ذكرنا سلفًا إن الساميون في هذا المصطلح هم اليهود فقط ولا يشترك معهم العرب لأن الرؤية التوراتية اليهودية ترى في إنّ اليهود لوحدهم سامين فقط بناء على ما ذكر في سفر التكوين[2]، وقد تنامى شعور اللاسامية لدى اليهود في اوروبا وخاصة في فرنسا عندما تمت محاكمة الضابط داريفوس وهو احد ضباط الجيش الفرنسي ذو اصول يهودية يعمل في هيئة الاركان العامة، بعدما تم ادانتهُ بتهمة التخابر مع الجيش الالماني في مطلع العام **1894**، ومن مخرجات المحاكمة نفيّ هذا الضابط إلى خارج فرنسا،مما ادى إلى وجود موجة من الكراهية ضد اليهود الذين يعيشون في داخل فرنسا[3].

---

[1] اسحق جرينفيم، الحركة الصهيونية، ترجمة : جودت السعد (الاردن: دار الجاحظ للنشر والتوزيع، 1948)، ص 68-71.

[2] هنري عبودي، معجم الحضارات السامية(بيروت_طرابلس: دار جروس بروس للنشر، 1991)، ص457-459.

[3]صبري جريس، تاريخ الصهيونية(بيروت: مركز الدراسات الفلسطينية، 1977)، ص448-49.

فكريًا ترجع جذور العداء للسامية من الخرافات اليهودية التي وصفت العرق اليهودي بأنهم الأعلى والاسمى وقد فضلهم الرب على باقي الشعوب، وهذا الأمر أدى إلى وجود كراهية لليهود بسبب نظرة الاستعلاء والفوقية التي يحملوها تجاه باقي الشعوب، وهذا ما تفسرهُ الصهيونية في مشروعها بأنها نتيجة لما حدث من مجازر ضد اليهود في المانيا في ثلاثينيات القرن المنصرم عندما حدثت مجزرة الهولوكوست(*) المختلف عن واقعية حدوثها[1].

أيديولوجيًا فإن اللاسامية كانت محاولة جادة وفعالة للشروع في إقامة وطن قومي لليهود في داخل فلسطين، حيث نجد إن كل الممارسات التي تشرعن بها الأصولية الصهيونية تحاول ديمومة بقاها على أرض الواقع لان لا يمكن أن يساعد الصهيونية في مشروعها الفكري والمادي مثل اللاسامية، حيث مثلت رد فعل دفاعي للمشروع الاصولي، لكن معضلة الصهيونية كأصولية أخذت معنى أعمق لا سيما في ظل وجود تيارات للاهوتية يهودية رافضة للفكري الصهيوني، الأمر الذي جعل المشروع الصهيوني مهدد بالفشل، خاصة إن الحق الدفاعي بعد أن اخذ دور ايجابي في اللاسامية قد يأخذ مسار مختلف يؤدي إلى ضرر أكبر بالصهيونية عندما يرفض هذه الفكرة ويكرس لها جهود يهودية رافضة للمشروع

(*)وهي دلالة للمجازر التي تعرض لها اليهود من قبل النازية في القرن الماضي ماديا، إلا إن هنالك تفسير اخر لها فأن الهولوكوست تأتي بمعنى القربان وهو من الطقوس اليهودية الذي يجب أن يحرق كاملاً ويكون غير منقوص من اجل التكفير عن خطيئة الشعب اليهودي وفق الاعتقاد اليهودي. ينظر: عبد الوهاب المسيري، الصهيونية واليهودية(دمشق: دار الفكر للنشر، 2009)، ص235.

(1) مكسيم رودنسون، "أفكار بسيطة بشأن معاداة السامية"، ترجمة: صفاء كنج، مركز الدراسات الفلسطينية، العدد120(بيروت:2019)، ص104.

بناء على نصوص لاهوتية[1].

واخيرًا؛ يرى اسحق جرينبوم[*] إن الصهيونية هي المخلص الوحيد لليهود فقد منحت اليهود دورا فعال في العالم من خلال ممارساتهم الفعلية والحقيقة في داخل "إسرائيل" وخارجها، وان العالم يحتاج الأفكار المادية والمعنوية اليهودية، إذ لا يمكن التخلص من تلك الأفكار أو انكار دورها المؤثر من قبل الأممية ويجب عدم طمث تلك الأفكار من قبل اليهود المتشددين، وهذا الأمر يفضي إلى نتيجة مفادها إن اللاسامية هي من صنعت اليهود في العالم، لأنها منحت غطاء ايديولوجي غائي دلالي افضى إلى حرية جزئية للتحرك اليهودي في كافة اصقاع العالم، وعليه فإن انكار اللاسامية هو انكار للوجود اليهودي، وفق الرؤية الأصولية الصهيونية[2].

---

(1) ليونيل دادياني، الصهيونية على لسان قادتها: التصدي والواقع، ترجمة: دار الثقافة(القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1988)، ص47-51.

(*) اسحق جرينبويم (1879 – 1970) اعلامي وسياسي يهودي بولندي يعد من ابرز اليهود الذين دعوا إلى ضرورة وجود حكم ذاتي لليهود في الشتات.
ينظر: افراييم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية(عمان: دار الجليل، 1988)، ص100.

(2) اسحق جرينفيم، مصدر سبق ذكره، ص 21 .

رابعًا: دلالات الشتات

اعتمدت الأصولية الصهيونية في تأويلاتها على النصوص اللاهوتية،بعد أن استندت في شروحاتها للتفاسير الخاصة بالتوراة من خلال التلمود والمشناة والجمارا، لأنها ترى في كلام الرب ما لا يفهم ومن الضروري أن يفسر تفسير منطقي بعيدًا عن الرؤية الدينية الجامدة والمجردة، بعد الأعتماد على المبدأ الهرمنيطيقي الفلسفي الخاصة في البناء الفكري اللاهوتي المادي[1].

ارتبطت رؤية الشتات في الفكر اللاهوتي اليهودي عندما أرسل الرب شعب يهوذا إلى مدينة بابل سنة 568 قبل الميلاد لتأديبهم على وثنيتهم وفق الاعتقاد اللاهوتي اليهودي وأعادهم الرب مره اخرى إلى اورشليم من قبل ملك فارس كورش في العام 536 قبل الميلاد، ولكن كل من عادوا كانوا لا يتعدون عشرات الألاف أما الباقون فقد استقروا في مدينة بابل وبعد السبي البابلي ظهر شتات اليهود في كل مكان، فصار يهود أورشليم هم الأقلية، أما الغالبية فكانت في الشتات اي المنفى اليهودي، وهذا ما جاء في التوراة، فقد قال "فَلَمَّا عَلِمَ دَانِيآلُ بِإِمْضَاءِ الْكِتَابَةِ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، وَكُوَاهُ مَفْتُوحَةٌ فِي عُلِّيَّتِهِ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَصَلَّى وَحَمَدَ قُدَّامَ إِلهِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ ذلِكَ"[2].

---

[1] ميخائيل مينا، موسوعة علم اللاهوت: اشهر الاختلافات العقدية والطقسية بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية، تعليق: ميخائيل مكسى اسكندر، ج4(القاهرة: مكتبة المحبة - سلسلة شرح كتب التراث القبطي، 1956)، ص30-33.

[2] سفر دانيال، (6: 10).

من الضروري التميز بين التاريخ الزمني (العادي الذي يشعر فيّه أي فرد) والتاريخ الزمني المقدس الذي أورد في التوراة (الكتاب المقدس اليهودي)، الذي تناولتهُ التوراة في مضامينها الفكرية، ويمكنّ الاشارة إلى التاريخ الزمني الذي لم يحدده العهد القديم بالعكس من التاريخ المقدس، فقد جاء في التوراة "وعيد سليمان العيد في ذلك الوقت سبعة ايام، وكل إسرائيل معه وجمهور عظيم جدا من مدخل حماة إلى وادي مصر"[1]، ويستخدم للإشارة إلى الشتات اليهودي والتيه الذي تعرض له اليهود بعد تدمير مملكة داوود وسبيهم من قبل ملك بابل "نبوخذنصر"، وهذا ما جاءت به التوراة في سفر الملوك الثاني، فقد قال "جاء "نبوخذناصر" ملك بابل هو وكل جيشه على اورشليم ونزل عليها وبنوا عليها ابراجا حولها"[2].

الرؤية اللاهوتية للشتات مختلف بين الفرق الأصولية اليهودية والصهيونية من خلال وجود اتفاق بينهما بأنّ هنالكَ قوة ظالمة قتلت اليهود ونفتهم تحت وطأة الإكراه من أرضهم إلى أرض الشتات، إلا إن الاختلاف في تفسير دلالات وجود تلكَ القوة، حيثُ ترى الأصولية اليهودية إنّ حدوث مثل هذه الحادثة بمثابة تمهيد لعودة اليهود إلى المركز الروحي اللاهوتي، أما الأصولية الصهيونية ترى بأنّ السبي وجد من أجل أن تولد الصهيونية من رحم المعاناة اليهودية التي

---

(1) سفر اخبار الايام الثاني، (7: 8).

(2) سفر الملوك الثاني، (25: 1).

تتمثل في الصفوة المختارة من شعب الله المختار وفق الاعتقاد اللاهوتي[1]، تباين الرؤى اللاهوتية بناء على اختلاف الرؤي في تبشيرية الرؤى فقد قال "ابغضوا الشر، واحبوا الخير، وأثبتوا الحق في الباب، لها الرب إله الجنود يتراءف على بقية يوسف"[2].

الأمر الذي أدى إلى تولد قناعات داخل الأوساط اليهودية على ضرورة محاربة ومواجهة الأفكار المارقة من النصوص اللاهوتية التوراتية مهما كان هدفها وان كانت تعتمد شكليا في مصدر تشريعها للتوراة، خاصة الممثلة في المبشرين للشريعة اليهودية بغض النظر عن التوجهات الأصولية اليهودية والصهيونية، أنتج ذلكَ خلق تصورات لدى الأفراد اليهود المخلصين بأن الصهيوني شخص خائن للتعاليم اللاهوتية المتمثلة في الشريعة الشفوية ويجب عدم الوثوق فيه لأن تأخير الخلاص اليهودي واستمرار الشتات بسبب الجماعات الأصولية الصهيونية، بفعل الممارسات التي يقومون بها أدى إلى غضب الرب من اليهود جميعًا، لان حق الدينونة في الرؤية اللاهوتية هو حق جماعي وليس فردي، واقامة وطن قومي لليهود في فلسطين كان من خلال جهود بشرية، اولجت مغالطات للاهوتية مما ازدادت العدائية ضد اليهود، حيث يعتقدون بأن قتل اليهود وتهجيرهم ومعاناتهم بسبب الابتعاد عن النصوص التوراتية، وهذا

---

[1] انطوان فيسل، التوراة، الإنجيل، والقران: ثلاث كتب مدينتان قصة واحدة، ترجمة: حسني زينة(بيروت: منشورات الجمل، 2015)، ص33.

[2] سفر عاموس، (5: 15).

ما اضطلعت به الأصولية الصهيونية[1]، اما سبب تمسكَ الأصولية الصهيونية بأعمالها رغم الخلاف مع الجماعات اليهودية بانها ترى في قصص الملوك والاسباط إلهامًا لها وكيف نصر الرب اتباعه المخلصين، من خلال التأكيد على العمل اكثر من الايمان، وهذا ما ورد في التوراة "هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض ادوم، قبلما ملَك ملُك لبني إسرائيل"، أفكار متضادّة في مفهومها القيمي، أصلتّ شروخّ بين الرؤية المادية والقيمية في أصولية الاعتقاد اللاهوتي[2].

نادت الجماعات الأصولية الصهيونية إلى كل من يرفض العودة إلى أرض الرب ويتمسك في الشتات عليه أن يبقى صامتًا في ظل حملة الخلاص اللاهوتي الرامية إلى احلال وجود ذو قيمة أكبر لدى الأفراد اليهود المؤمنين بالتعاليم اللاهوتية المادية، وعليه أن يتمسك في رؤيته المادية اللاهوتية في انتظار المنقذ المخلص اليهودي، وان ما يفعلونهُ الآن ضد الجماعات الأصولية الصهيونية هو خطيئة يعاقب الرب على كل تلكَ الأفعال الشريرة وجهة نظر للاهوتية صهيونية، وان تلك الخطيئة لا تختلف عما حدث في للعهد القديم، لا تختلف الأصولية اليهودية كثيرًا عن الأصولية الصهيونية لأنها ترى إن التغاضي عن تلكَ الأفعال هو تجسيد للخطيئة لان الصهيونية في نشاءتها وحتى قيامها وليومنا هذا

---

(1) كارين آرمسترونغ، النزاعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: محمد الجورا(دمشق: دار الكلمة للنشر، 2005)، ص30-33.

(2) سفر التكوين، (36: 31).

تعمل النخب السياسية في داخل "إسرائيل" على سلبّ روح اللاهوت من المعنى الذاتي مما يؤصل تشظي معنوي للفكر الفردي اليهودي[1].

لأنّ أي نصر لا يمكنّ أن يتحقق غلا من خلال اتباع التعاليم اللاهوتية التوراتية، لأن النصّ اللاهوتي هوَ واحد ولمّ يجتزء أو يتغير وفق الاعتقاد اليهودي، مع التأكيد على ضرورة اتباع أوامر الرب وطاعتهُ في التعاليم والارشادات، فقد قال الرب في التوراة "اسمعوا ايها الملوك واصغوا ايها العظماء انا، انا للرب اترنم. ازمر للرب إله إسرائيل"، إذ ترى الجماعات الأصولية اليهودية بأنّ هذا النداء شاملّ لكل يهود العالم وعليهم أن يتمسكوا فيّه [2].

واخيرًا؛ حاولت الأصولية الصهيونية تغير تصورات الفرد اليهودي، فبعدما دعت إلى الشتات اليهودي كفعل ناتج عن سخط الرب على اليهود انفسهم وضرورة التخلص من الاعباء الفكرية التي يمكن أن تنتج عنها اثار عنيفة في بنيوية الفكر اليهودي، لكن هذا الأمر تغير وتغيرت رؤية الصهيونية للمفاهيم اللاهوتية بصفة عامة والشتات بصفة خاصة، حيث سعت إلى اضفاء رؤية مغايرة تحرم من خلالها ممارسة الشتات عبر التأكيد العودة إلى اورشليم، عن طريق بث فكرة تتمثل في إن اليهودي المخلص يجب عليه أن لا ينتظر الخلاص اليهودي في الشتات إنما في "إسرائيل" لأنها تمثل جيتو جديد ينتظر فيه اليهود المخلصين المنقذ المخلص اليهودي، جدلية الفكرة المادية كرست رؤية قيمية

---

[1] ديفيد لاندو، الأصولية اليهودية، ترجمة: مجدي عبد الكريم(القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994)، ص172-174.

[2] سفر القضاة، (5: 3).

ذات أطر فكرية محدودة الوجود وما ينجم عنه من اسقاط واقعية الأفكار أدت إلى تشتيت الفرد اليهودي، الذي وقع ضحية الفكر المادي المؤطر بأفكار لا ترتبط بالنصوص الحقيقية اللاهوتية وأفكار للاهوتية ترى في الاختيار محل خلاص، ليكنَّ الفرد اليهودي عبارة عن وعاء كبير يحمل كمّ هائل من الأفكار المتضادّة أنتجت فرد مشوهه الفكر والتصور، يرى في الانعزال عن العالم الحل الامثل، وهذه من مساوئ الأصولية الصهيونية التي اوصلت الفرد اليهودي إلى ما هو عليه الآن[1].

خامسًا: الميسيا (جدلية الخلاص)

ترتبط رؤية الميسيا في البنية الفكرية لدى الفرد اليهودي والصهيوني على حد سوى، إلا أنّ الاختلاف يتمثلّ في عملية تطبيق النصوص اللاهوتية على أرض الواقع، حيثُ نجد خلاف بين الفرق اليهودي بذاتها إلا إنها تتفق وفق رؤية نسقية عامة في أطر عامة لتحقيق الخلاص اليهودي، أما معنى مصطلح الميسيا تأتي بدلالة انتظار المنقذ المخلص اليهودي، فقد قال موسس أو موسى أو كما يطلق عليه البعض يسوع(انشطار للاهوتي يهودي مسيحي). إنّ في أخر الزمان سوف يأتي من ينقذّ اليهود ويخلصهم من الويلات والظلم الذي تعرضوا لهُ، ويقوم بحفظ الوصايا التي أوصى اليهود بها ليكنّ حرز لليهود من الاخطار المحدقة بهم، من أجل أن يحافظ على شريعة موسى ويقتل كلّ من حاول تدنيس الرؤية اللاهوتية اليهودية، وترى الجماعات الأصولية اليهودية إنّ المعنى

---

[1] يعقوب فالكين، اليهود والعلمانية، ترجمة: احمد كامل (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية للنشر، 2003)، ص56-58.

من ذلكَ همّ الجماعات الأصولية الصهيونية التي حرفت النصوص اللاهوتية اليهودية[1].

ارتباط الخلاص اليهودي والمسيحي ليس سوى هرطقة صهيونية أوجدتها من العدم، هذا ما تعتقد فيّه الجماعات الأصولية اليهودية التي ترى في يسوع بأنهُ ليس المنقذ المخلص وإنما نزول المنقذ المخلص سوف يحدث في نهاية الزمان، بالرغم من إنّ عراب حركة الاصلاح الديني مارتن لوثر يرى في إنّ يسوع ولدّ يهوديًا وإنّ كل مسيحي مخلص هو بالضرورة يهودي من خلال اتباع التعاليم اللاهوتية التي نادى بها يسوع وفق الاعتقاد المسيحي، إلا إنّ الحاخامات اليهود يرجعون هذا التأويل إلى اختلاف طبعات الانجيل التي تعرضت للتحريف والتغيير، ويلقون باللوم على الجماعات الأصولية الصهيونية التي أولجتّ مثلّ تلكَ الفكرة بهدف تحقيق تقاربّ يهودي مسيحي بهدف تحقيق اهدافها المادية في عالم تحكم المادية النقدية وسابقة على وجودهُ[2].

حيثُ ترى الكنيسة البروتستانتية المسيحية إنّ الكتاب المقدس يمكنّ أن يفسرهُ أي شخص دون الحاجة إلى وجود تفسيرات ورجالات دين يضطلعون في ذلكّ، بعد أن دعت الكنيسة الايقانجليكية إلى ضرورة التأمل لوصول الذات الفردية إلى الذات الالهية، وهيَ تتطابق في هذا مع الرؤية الحلوليه الكمونيه التي

---

(1) اندرية دوبون وسومر مارك فيلوننكو، الكتب الأسينية: كتابات ما بين العهدين مخطوطات قمران_البحر الميت، ترجمة: موسى ديب، ج1 (دمشق : دار الطليعة الجديدة، 1998)، ص448-451.

(2) مارتن لوثر، اليهود واكاذيبهم، تقديم: محمود النجيري(القاهرة: مكتبة النافذة، 2007)، ص38-41.

تؤمن فيها الغنوصية وهيَ فرقة مسيحية ترى في التأمل للوصول إلى الحقيقة محلّ خلاص ذاتيّ مادي وجودي، بعيدًا عن الالتزام النصي للمعنى اللاهوتي بشقيه المسيحي واليهودي، إذ ترى الصهيونية إنّ مسالة الفكّ بين المسيحية واليهودية خطيئة يرتكبها المؤمنين باليهودية والمسيحية على حد سوى، فقد استغلت الأصولية الصهيونية هذا التقاربّ من أجل اقامة وطن قومي لليهود في الشرق الاوسط عرف للاحقًا باسم "إسرائيل"، نقطة ارتكاز التقاربّ بين الجماعات الأصولية الصهيونية والبروتستانتية تمثلتّ في وحدة الهدف، حيثُ ترى بأنّ الخلاص اليهودي من خلال اقامة وطن قومي لليهود يمهد فيّ نزول المنقذ المخلص المسيحي، لأن الخلاص اليهودي جزء من الخلاص المسيحي الذي تؤمن فيّه البروتستانتية، وهذا ما يبين الموقف البروتستانتي من "إسرائيل" أو النخب السياسية في داخل الكيان الصهيوني، ودعمهم اللامحدود "لإسرائيل" خاصة عندما أعلن الرئيس الامريكي الحالي دونالد ترامب في دورتهُ الأولى في مطلع العام 2017 إنّ القس عاصمة "لإسرائيل"[1].

ومن الحجج التي اعتمدتها الجماعات الأصولية فيّ ضرورة تحقيق تقاربّ فعلي بين الجماعات الأصولية الصهيونية والمسيحية التي تمثلت في قول إنّ "المسيح ولد يهوديًا" كانت في نصوص الانجيل، حيث قال "لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس أو الانبياء. ما جئت لانقض بل لاكمل"، وعليه فأنّ الايمان اليهودي الخالص يجب أن يتمثل في الايمان في يسوع، وإن المسيحي المخلص يجب أن يرى في العهد القديم مكمل للعهد الجديد ولا يمكن الفصل بينهما. وإنّ

---

[1] جورج مارسدن، كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والايڤانجليكية، ترجمة: نشأت جعفر(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2000)، ص23-27.

أي محاولة لنسف الفكر اللاهوتي ليسوع المسيحي هو نبذّ لفكرة موسس اليهودي[1].

تجسد الدور الاصولي اللاهوتي اليهودي والصهيوني في ترسيم معالمّ البناء الفكري وفق رؤية نسقية تعبوية وجودية تقوم على اساس الحلول المادي للرؤى القيمية والثقافية، الأمر الذي دفع النخب السياسية في داخل "إسرائيل" في العام 1952 إلى الاعلان عن قانون العودة الخاص باليهود من أرض الشتات (المنفى اليهودي) والى أرض الرب "إسرائيل" وفق الاعتقاد الاصولي الصهيوني، الذي سمح من خلالهُ عودة جميع اليهود باختلاف توجهاتهم السياسية والأيديولوجية والقيمية والثقافية كانت لغوية أو عرقية، إذ شملّ المسيح المؤمنين بالخلاص اليهودي من طائفة البروتستانتية التي شكلت فرقة كبيرة في داخل "إسرائيل" عرفت باس المسيانية أو المسيحانية، الأمر الذي جعل من الصهيونية تخرج من اطارها اللاهوتي وتدخل في دهليز شائكّ ينافي ما قامت عليه، وهذا ما حذر منهُ الحاخامات اليهود المتدينين بأنّ تأييد مثلّ هذه الفكرة من شأنهُ أن يفقد الفرد اليهودي هويتهُ في داخل الوطن القومي عندما تم طرح الفكرة، وهذا ما يلاحظ فقد عملت النخب السياسية بهكذا إجراءات من أجل وجود هوية جامعة داخل "إسرائيل" عرفت باسم "الهوية الإسرائيلية" ذات الاطر المادية العلمانية الرافضة للنصوص اللاهوتية التي جاءت بها الشريعة الشفوية، إلا إنّ مثل هذه الممارسات لم تكنّ وحيدة فقد ظهرت ردت فعلّ عكسية من قبل الجماعات اللاهوتية اليهودية المتدينة التي رفضت تلكَ

---

[1] انجيل متى، (5: 17).

السياسات التي انتشرت في المدرس المدنية، ودعت إلى ضرورة وجود منهج تعلمي خاص ينطلق من التفسيرات اللاهوتية الفكرية مع التأكيد على اتباع التوراتي دون العمل على تحريفهٌ، أفضى تلكَ التناقضات إلى تصدعات في داخل البيت "الإسرائيلي"[1].

الرؤية المادية الطبيعية التي تحكم العالم مثلتّ ذريعة دامغة للتوجهات الأصولية اليهودية، بأنّ أي فكرة لا يمكنّ أن تكون سابقة على الوجود كرؤية للاهوتية إذ يجب على اليهود أنّ يقفوا بالضد من التوجهات الأصولية الصهيونية قبل أن يحل عليهم غضب الرب، وهذا ما ورد في سفر يسوع فقد قال "ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت انسان.لان الرب حارب عن إسرائيل"[2]، وفي المقابل ترى الجماعات الصهيونية بأنهم اوصاء على اليهود جميعًا، ويستدون في ذلكَ إلى قول الرب في التوراة، فقد قال "ولتكن هذه الكلمات التي أنا اوصيك بها اليوم على قلبك. وقصها على أولادك و تكلم بها حين تجلس في بيتك"[3]، وإن من يعارض الأصولية الصهيونية هوَ معارض لرؤية الميسيا ويرفض المشيئة الالهية، لأن "إسرائيل" هي دولة الرب وإن النخب السياسية الصهيونية هم جنود الرب الذين يدبرون شؤون الشعب المختار وفق الاعتقاد الاصولي الصهيوني، ويبررون قولهم من خلال نصوص للاهوتية، هيَ "يا

---

(1) مارسيليو سڤيرسكي، ما بعد المجتمع الإسرائيلي نحو تحول ثقافي، ترجمة: سمير عزت (روما: دار منشورات المتوسط للنشر، 2014)، ص86-91.

(2) سفر يشوع، (11: 14).

(3) سفر التثنية، (6: 6-7)

ابن ادم، قد جعلتك رقيبا لبيت إسرائيل. فاسمع الكلمة من فمي وانذرهم قبلي"[1].

ترى الأصولية الصهيونية إن كل ما قامت به وما تقوم به ما هو إلا تمهيد للمعركة الحاسمة التي ذكرها الرب في التوراة تعرف باسم هرمجدون التي سوف تنتصر فيها قوى الخير على قوى الشر، وان الأصولية الصهيونية وما يؤيدها تتمثل في قوى الخير والاممية ومن يؤيدهم يتمثلون في قوى الشر، وهذا ما لوحظ في ثمانينات القرن المنصرم تمسك الاصوليين الصهاينة والانجيليين خاصة المنتمين للكنيسة الانقانجليكية بعقيدة معركة هرمجدون وانها باتت وقت حدوثها قريب جدًا، وهذا ما يلاحظ في الحروب الدينية التي حدثت وخاضتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد أفغانستان والعراق، بأن تلك الدول تمثل محور الشر والخطر على العالم المسيحي واليهودي على حد سوى[2]، ويذكر إنّ مكان وقوع معركة نهاية العالم التي عرف باسم هرمجدون في شمال فلسطين في وادي اخذتّ اسمها منهُ وادي (مجدو)، وهذا المعتقد سائد في الشريعة اليهودية والمسيحية والدين الاسلامي[3].

---

(1) سفر حزقيال، (3: 17).

(2) غريس هالسل، يد الله، ترجمة: محمد السماك(القاهرة_بيروت: دار الشروق للنشر، 2000)، ص18-33.

(3) كارلوتا جيزن، معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب، ترجمة: احمد علي(القاهرة: دار الكتاب العربي، 2002)، ص92-93.

وهنالكَّ العديد من الاشارات إلى معركة نهاية العالم في كتابات التوراة، التي ترى فيها الأصولية الصهيونية إنّ كلّ اعمالها تمهيدًا للمعركة الحاسمة التي سوف يخوضها كل يهودي مخلص مع المنقذ المخلص ضد القوى الشريرة، كما تم الاشارة اليها في سفر الرؤيا، فقد قال الرب "فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية «هرمجدون»"[1].

واخيرًا يمكننا القول؛ يجب الإعتراف في وجود اسبقية فعلية بين الرؤى اللاهوتية اليهودية القيمية على نسق الرؤية الأصولية الصهيونية المادية وعلى المادية اليهودية ذاتها، لا سيما أننا نعيش في عالم مترامي الأبعاد يخضع لأطر قياسية فاقدة للمعنى الذاتي البنيوي، سيادة الفُوضى تمثلتّ في تقديم الماهية المادية الصهيونية على المعنى المادي اللاهوتي، اولجت حروب أدت إلى خسائر بشرية فادحة بفعل تصورات مشوهه، جسدت القيم اللاهوتية الصهيونية دلالات قياس كليّ لها في ظل تقديس الأفكار والايديولوجيات المعنوية ومنحها بعد قداسي يؤطر التوجهات الأصولية، فإن انكار النص اللاهوتي وتقديم النص المادي أصبح الفرد اكثر حرية وسموا في العالم لكن فاقد للوازع القيمي اللاهوتي (الديني) الذي يحدد توجهاتهُ، الأمر الذي دفع الفرد اليهودي يبحث عن اليهودية التي كان يعتنقها، فيجد الذات المقدسة قد دنستّ بفكرة مادية، الأفكار المقدسة (اللاهوتية) تفقد معناها عندما تستغل (ماديًا)[2].

---

[1] سفر الرؤيا، (16: 16).

[2] صامويل هنتغتون، صدام الحضارات، ترجمة: طلعت الشايب وصلاح قنصوه(نيويورك:مركز روكفلر، 1999)، ص57-60.

الفصل الرابع

جدلية الفكر المادي في المجتمع "الإسرائيلي"

أصلتّ الأبعاّد المادية في تجليات الفرد الروحية أثر بالغّ في كينونته الوجودية، حيثُ عملتّ الأفكار المادية التي تشبع بها الفرد اليهودي في فترات التيه أو الشتات التي عاشها لفترات طويلة رؤية قيمية ثقافية مشوهه تجاه الواقع الذي يعيشهُ والذي يرُومّ إليه، مما ولدّ تصورات مغلوطة ذات بنية فلسفية تراكبية أخذت منحى هُلامي، ما بين الوعي والوجود الحقيقي هنالكَ فرد يهودي أو صهيوني التوجه أو الاعتقاد يلاحظ تصورات خاطئة من وجهة نظر كل أصولية، الأمر الذي أثر بشكل فعليّ حقيقي على البناء الفكري للمجتمع "الإسرائيلي" الذي أصبح يعيشّ حالة من التضاّد في المعنى والمفهوم السائدّ في فكرة الفرد الوجودية، مثلّ تأثير مباشر على الفكر اللاهوتي اليهودي والصهيوني على حد سواء.

تحرير الفرد من القيمّ السائدة تجعلّ منهُ فاقد للمعنى الذاتيّ لوجودهُ البنيوي الفكري، سطوة الفكر المادي (الإنساني) على الفكر اللاهوتي (الديني)، يؤطر بعدّ قياسي يجعلّ من أفكار الإنسان عرضة للتغير والتأطيّر في شكلها ومخرجاتها لا تعدّ إلا أنّ تكون مجرد ارهاصات فكرية أولجت حالة من اللامعنى، يشاّر لها كدلالة ميتافزيقية في تأثيرها الذي يأخذ شكل غير مباشر تؤثر وتتأثر في الفرد داخل المجتمع الأصولي "الإسرائيلي"، وهذا ما سوف يتم تناولهُ بشكل مفصل في هذا الفصل، كما مبين أدناه، هوَ:

أولا: التأثير النسقيّ

للواقعة التاريخية أثر بالغ في بنيوية الفكر المادي اللاهوتي للفرد اليهودي والصهيوني على حد سوى، فبعد قيام ما يعرف باسم دولة "إسرائيل" في منتصف العام **1948** حاولت الأصولية الصهيونية على اضفاء صبغة للاهوتية يهودية للأفعال الإيديولوجية من خلال تشريع قوانين خاصة في جمع الشتات اليهودي من شعر اصقاع العالم والذهاب بهم إلى "إسرائيل"، وهذا ما يعرف باسم تأثير الوازع اللاهوتي القيمي على الفكر النمطي الفردي في توجيهات الفكر الاسقاطي للرؤية الشمولية المادية وما ينجم عنها من تدابير للاهوتية ذات منحى ازدواجي ذو نسق موروفلوجي.

ظهر جليا في قرارات الولايات المتحدة الأمريكية ذات النزعة الأصولية الصهيونية المسيحية (البروتستانتية)، عندما تم الإعلان عن إن القدس عاصمة "إسرائيل"، ناسفًا الاحقية العربية في القدس وفق على الحقائق التاريخية التي ذكرت بأن العرب اليبوسيين، هم الذين قاموا ببناء مدينة القدس قبل الميلاد بنحو ثلاثة الاف سنة، قبل أن يحتلها اليهود بنحو ألف عام في زمن مملكة داوود حينّ إذ، فقد جاء السبي اليهودي في رؤية الوعي الجمعي الاصولي الفردي بانهُ ثمن للخطيئة اللاهوتية اليهودية التي احقت عليهم حق الدينونة في تداعياتها الثقافية، جدلية الموروث المغلوط اولج معانّ رافضة للفكر الفردي الاحادي اليهودي القائم على الرؤية التوراتية التي اصبحت محاطة بأفكار لا تمثل

المد الاصولي، جعلت من الفرد اليهودي يتعاطى مع أفكار لا تشكل معنى حقيقي لما يحملهُ من فكرّ قيمي سائد نابع من الذات الفردية[1].

تجسيدًا للوقائع التي أصبحت سائدة في ذهن الفرد الاصولي لا سيما المحكمة الشهيرة التي جمعت المصادر المزيفة للتلمود (بناء لما تمت اشاعته حينها) في فرنسا من حوزة الحاخام اليهودي يحيئيل، من قبل المحكمة الفرنسية الملكية في مطلع القرن الرابع عشر، خاض سجالّ عنيف بين الحاخام والمحكمة الملكية حينها، بعدما دحضّ التصور المسيحي بأن يسوع ليس آلهة أو جزء من آلهة فما هو إلا رسول بعث من الرب ليبشر برسالة خاصة سماوية، يعزوا في أجابته إلى إن يسوع صلب وشنق في مدينة اللدّ وليس في مدينة القدس الفلسطينية.

لأن نسخ التلمود تفاوتت كتاباتها، إذ كتبت في احقاب زمانية مختلفة ترجع أصول كتابة إلى ما قبل **14** قرن من الزمن، وهو الأكثر مصداقية في طرحه، وان يسوع ليس سوى رسول يهودي لم يكن مسيحي وفق الرؤية التلمودية التي لديه، تلك الحادثة اثارة جدل واسع في داخل الأوساط الأوروبية وليست اليهودية لوحدها، مما جعل الاصوليين المسيح يضمرون العداء لليهود وحاولوا التهجم عليهم مرارًا وتكرارًا في اماكن مختلفة عززت الجيتو اليهودي من أجل انتظار الخلاص اللاهوتي، افضى إلى حرق التلمود الذي يملكه الحاخام اليهودي مع نفي هذا الحاخام، خشية تفاقم الوضع والخروج عن السيطرة.

---

[1] كيت ماجواير، تهويد القدس: الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس (بيروت: دار الافاق الجديدة للنشر، 1981)، ص10-13.

خلاف متجذر في الفكر الإنساني واللاهوتي اليهودي ظهر من خلال تداعيات المحكمة الملكية الفرنسية بين الاصوليين الصهيونيين والمسيحين حول الوهية يسوع ومسالة القدس ومن هوَ الاحق فيها، وهذا ما ظهر عليه من خلافات داخل الكيان الصهيوني حول امكانية تحديد مفهوم المواطنة من منظورهُ اللاهوتي، وما يلاحقهُ من تبعات مادية وقيمية اكثر عنفيه في ترسيم الفكر اللاهوتي اليهودي بعد توظيفهُ سياسيًا، لان المعتقد قاصرّ بذاته لا يمكن له أن يصل في الفرد نحو الكمال البشري إلا إن يرافقهُ تطبيق لحظي شفوي وفق الرؤية اللاهوتية اليهودية وما ترى فيه الأصولية الصهيونية في تطبيق بنيوي للرؤية التوراتية نابع من تفسيرات مادية إنسانية، اسقطت الفكر اللاهوتي في بركة الفكر الايديلوجي المادي الإنساني، سلخّ الفكر الفردي من فطرتهُ اللاهوتية التي نشاء عليها، أدى إلى وهن قيمي ثقافي، بالرغم من إن الحاخامات اليهود يعملون كثيرًا على الحفاظ على نسق فكري واحد بهدف الحفاظ على القداسة اللاهوتية في تعاليمها التوراتية، من خلال تربية الفرد اليهودي على التمسك بالتعاليم الإلهية، لنبذّ أطر الخلاف المادي بين الاصوليات المتضادّة.[1].

وهذا ما جاءت بها الشريعة الشفوية، فقد قال الرب في التوراة "انما احترز واحفظ نفسك جدا لئلا تنسى الأمور التي أبصرت عيناك، ولئلا تزول من قلبك كل ايام حياتك. وعلمها أولادك وأولاد أولادك"، أي على كل فرد يهودي أن يسعى للحفاظ على التعاليم التوراتية من تدنيس الفكر المادي الاصولي الصهيوني

[1] مجموعة مؤلفين، مصدر سبق ذكره، ص180-200.

وإنّ تعاليم الربّ يجب المحافظة عليها من الانا الفردي في تفسير اللاهوتي مع ضرورة اتباع النصّ التوراتي[1].

محاولة هادفة بأن لا تكنّ قداسة الذات اليهودية في الفكر اللاهوتي تشابه قداسة يسوع في الفكر المسيحي، مما يساعد على ولوج الفكر المادي المسيحي على الفكر اللاهوتي اليهودي، وهذا ما اشار إليه الحاخامات اليهود بين الحين والآخر من خلال التأكيد على ضرورة اتباع التعاليم التوراتية لدى اليهود والتعاليم اليسوعية لدى الكهنوت المسيحين، لان نجاعة الفكر اللاهوتي نابعة من التصور الفردي اللحظي لكل فكرة سائدة في الفكر الإنساني، ومن هذه المقاربات التي اصبحت ذائعة الصيت في الأوساط اليهودي بأن الهولوكوست هي تجليّ حقيقي للتضحية اللاهوتية اليهودية وإن الشعب المختار قدم التضحية للرب مثلما فعل يسوع عندما قام بالتضحية بنفسه لتحرير البشرية من الخطيئة التي يعيشونها وفق الإعتقاد الاصولي المسيحي، فإن منزلة اليهودي لا تدنوا من منزلة يسوع في الفكر الكهنوتي المسيحي.

واخيرًا، يمكن القول بأن الفرد اليهودي أصبح متأثر بشتى أفكار لم ينشئ عليها اضحت مغايرة في معانيها الذاتية، تأدلج الأفكار اعطى ذوات قيمية في أصولها الفكرية، فما كان يكفر فيه اليهودي أصبح يتعايش معهُ، وهذا نوع من الانسلاخ التامّ وهرطقة فكرية وللاهوتية لدى الأفراد اليهود يجعل من كل ما يحكمهم ما هوَ إلا بناء ازدواجي في معاير الرؤى الذاتية، لتكنّ اصولية الفرد

---

[1] سفر التثنية، (4: 9).

اليهودي هيَ اصولية فرد مسيحي، جمع شملّ اضداد يجعل من تعاطى الأفكار لدى الأفراد اكثر هشاشة تفقد الفرد معنى وجودهُ[1].

ثانيًا: تأثير عامودي

مزج الشريعة اللاهوتية اليهودية التوراتية مع الرؤى القيمية الثقافية للدول الكبرى يشكلّ معضلة فكرية لدى الأفراد المؤمنين لتلكَ الأفكار، بعدما حاول عراب الحركة الصهيونية تيودور هرتزل تسوية المسألة اليهودية من وجهة نظر مادية وجدها تخضع لأسقاط ايكلوجي في تقييم فاعليتها الادائية، خاصة في ظل تقوقع الفكر الإنساني على ذاته مما يمنح لكل فعل تبريرات مادية يدافع معتنقون تلك الأفكار عن أفكارهم، لذلك فإن الاطار الإيديولوجي لم يمنح الأصولية الصهيونية اي شرعية في تبرير أفعالها وفق غطاء مادي.

تجلتّ معالمهُ في استمالة القوى المهيمنة على النظام الدولي في ترسيم أفعالها، حيثُ دعمت الأصولية الصهيونية منذ بداية الشروع في مشروعها المملكة المتحدة (بريطانيا) فضلا عن دعم الولايات المتحدة الأمريكية في اربعينيات القرن الماضي والى يومنا هذا للمشروع الاصولي، ليكن الفرد قد وقع بين هوة اللاهوت والايديولوجية، فإن اي اتباع أو اعتقاد خارج من النمط القياسي الفردي يجعل هنالك تصورات دحضتّ الفكر اللاهوتي لدى الأفراد اليهود المؤمنين بمثلّ هذه الأفكار، تفاقم الجدل بين الفكر المادي (الإنساني) والفكر اللاهوتي (الإلهي) أدى إلى تشكيل مجتمع يهودية لا يؤمن بالخلاص

---

(1) روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية(القاهرة: دار الشروق، 1998)، ص206-208.

اللاهوتي أو التعاليم التوراتية بقدر ما يراهُ صائبٌ من منظور أصولي صهيوني، كل الأفكار نسفتّ من ارجاءها جعلتّ نمطية التصور تؤدلج ابعاد غيبتّ الدلالة الغائية للاعتقاد المادي الفردي في المجتمع "الإسرائيلي"[1].

توظيف اللاهوت لخدمة البعد المادي الإنساني رسخ فكرة انسلاخ الفرد من الرؤية اللاهوتية التي اضحت محلّ ازدراء وعبثّ فكري لا تصل في الفرد لأي خلاص مؤقت أو دائمي وهذا ما تراهُ الجماعات الأصولية بأنها سقطت في شركّ الفكر السياسي الصهيوني الذي جعل منها أداة لتحقيق الغايات المادية الصهيونية في تحقيق مشروعها الاصولي، فقد شنتّ الجماعات الأصولية الصهيونية العديد من الحروب باسم الرب بهدف تحقيق مصالح صهيونية عبر كسب تأييد يهود الشتات، من خلال استخدام المؤسسة العسكرية لصهر الفئات المختلفة عقائديًا وأيديولوجيًا بهدف الحفاظ على أمن الدولة واستقرارها، وخلق بيئة مناسبة داخل الدولة، وخاصة بعدما أظهرت انقسامات كبيرة داخل المجتمع الإسرائيلي، التي لا يمكن أن تلتئم في وقت قصير؛ لان الجماعات اليهودية السفارديم والفلاشا تشعر بالدونية داخل الكيان الصهيوني بسبب التهميش الذي وقع عليهم من النخب السياسية الصهيونية.

يرجع هذا التمايز بين يهود الاشكناز وغيرهم من يهود الكيان الصهيوني، إلى ان غالبية يهود "الاشكناز" هم من اليهود الذين هاجروا من الولايات المتحدة الأمريكية إلى دولة "إسرائيل"، وكان لهم الدور البارز في الاعلان عن

---

[1] رومان برودسكي، "الحقيقة حول الصهيونية"، مركز الأبحاث الفلسطينية، العدد52(بيروت:1975)، ص138-140.

وجود دولة "إسرائيل"، مما منحهم مكانة بارزة عن باقي الفرق الأصولية، الأمر الذي ولدّ اغتراب ذاتي فكري أصولي للاهوتي في داخل الكيان الصهيوني، لأن الفكر الفردي تعرض لانتكاسة كبيرة خاصة بين المتدينين اليهود الذين اصبحوا يرون بأن قدسية الفرد اليهودي تعرضت للسرقة من قبل الجماعات المسيانية (المسيحية) ولا مفر من الهلاك اليهودي، بمعنى أدق تشوهه فكرة الخلاص والايمان اليهودي في أعماق الروح اليهودية التي أصبحت ترى بمثل تلك الافعال لا تمت بالتعاليم اللاهوتية بصلة وإن ما أمن فيه الفرد اليهودي لا يغدوا إلا أن يكون هرطقة لا أصل لها، وهذا تفسير مباشر لسطوة الفكر المادي الإنساني على الفكر اللاهوتي، أدى إلى تنامي الجماعات الالحادية الرافضة لفكرة وجود آلهة، وهذا ما كانت تحذر منهُ الجماعات الأصولية اليهودية المتدينة[1].

هذا الامر الذي انتقدتهُ الجماعات الأصولية اليهودية من أفعالّ ترى فيها الجماعات الأصولية الصهيونية بأنها تذهب بالشعب اليهودي نحو الفناء شيئًا فشيئًا، أدت تلكَ الخلافات إلى القاء التهم بين الاصوليات التي اصبحت ترى الأصولية الصهيونية بأنّ الجماعات اليهودية تبالغّ في مخاوفها وإنّ الرب سوف يغضب من الجماعات اليهودي التي ترى بانّ الرب سوف يهلكّ اليهود بسببهم، مستندينّ بذلكَ إلى النصوص التوراتية، فقد قال الربّ "اني انا الرب لا اتغير فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا"، ومن هنا تطرح الجماعات الصهيونية تساؤل مهم كيف يهلكّ الرب شعبهُ الذي وعدهم بالخلود وعدم الفناء، بالرغم من إنّ الجماعات

---

[1] هنري لورنس، مسألة فلسطين: اختراع الأرض المقدسة١٧٩٩_١٩٢٢، ترجمة: بشير السباعي(القاهرة: المركز القومي للترجمة (1027)، 2006)، ص144-146.

اليهودية بأنّ الهلاكّ هوَ أمر مرحليّ لنّ يتسم بالديمومة ووقوعهُ لا محالّ بسبب الصهيونية[1].

إن اليهود لا يمكن أن يكونوا سادة أنفسهم والتحكم في مصيرهم إلا من خلال تجاوز الفكر اللاهوتي اليهودي والعمل على بعد ايديولوجي ذو مضامين للاهوتية التي قال بها وايزمن، لأن فكرة التحرر هي فكرة إنسانية مادية قيمية كامنة في الروح اليهودية، وما يكتنفها من غموض من خلال الغوص في الذات اليهودية يتجلى الخلاص المادي من وخلال الرؤية الأصولية الصهيونية، لان الحرية تمثل العمل شانها شان الإعتقاد اللاهوتي في المضامين النصية المقدسة، لا سيما يمثل الاستيطان وتنامي عمليات التوسع إلى تحرير اليهود من اغلال المادية الإنسانية التي عانى شعب الله المختار منها طيلة عقود كثيرة[2].

نواة الفكرة تتمثل في الخلاص المادي من المعوقات الفكرية الرامية إلى ارساء دعائم النهوض الذاتي في غياهبّ الفكر الوجودي، وعليه فقد استطاعت الأصولية الصهيونية منذ تأسيسها والى فترة الإعلان عن إقامة وطن قومي لليهود في 13 نيسان من العام 1948 تحقيق أهم اهدافها المادية من خلال المساعدة البريطانيا المباشرة لهذا العمل الاصولي،الا انها امتدت في اكمال مشروعها مع تعاقب الزمان، بعد مرور 76 عام تعمل الأصولية الصهيونية على توسيع الحدود "الإسرائيلية" وهذا ما يلاحظ عندما وسعت حدودها في الجولان السورية بعد

---

(1) سفر ملاخي(3: 6).

(2) Chaim weizman, op. cit ,p204-207.

انهيار النظام السوري (المخلوع: بشار الأسد)، فبعد إقامة الدولة "الإسرائيلية" يتوجب على الصهيونية جمع الشتات اليهودي من شتى بقاع العالم، وهذه الرؤية تمثل نواة الفكر اللاهوتي الصهيوني، وقبول العودة من الشتات اليهودي إلى "إسرائيل" تحقيق الوعد اللاهوتي والتاريخي لما يعرف باسم "إسرائيل الكبرى"، امتداد من النيل إلى الفرات، الذي أصبح يراها الفرد اليهودي بأنها احقيه مادية تأريخيه بعيدة عن التأثير اللاهوتي، إذ يلاحظ تأطير الأفكار اللاهوتي بصبغة مادية سلبتّ الفكر اللاهوتي معناهُ القيمي لدى الأفراد المؤمنين فيّه، وهذا ما كانت تخشاهُ الجماعات الأصولية اليهودية المتشددة[1].

وظهر هذا الأمر علانية عندما قامت الأصولية الصهيونية من خلال تأثيرها على النخب السياسية في داخل "إسرائيل" إلى ضرورة ادارة المعارك التي تشنها "إسرائيل" مع العدو التقليدي العربي في داخل الأراضي الاقليمية العربية، إلا إن هنالكَ نقلة نوعية في ادارة الصراع الفكري في داخل المجتمع "الإسرائيلي"، خاصة مع الجماعات الأصولية اليهودية الرافضة للأعمال التي تتبناها الصهيونية من خلال فتح قنوات رافدة للفكر الاصولي الصهيوني يعمل على الترويج للأفكار الأصولية ليهود الشتات عبرة دعوتهم إلى الذهاب نحو "إسرائيل" ايمانًا بالمشروع الاصولي اكثر من البحث عن تحقيق الوعد اللاهوتي، حيث جعلت من هذا المبدأ المادي (الاستيطاني للأراضي الفلسطينية) والفكري

---

(1) Oscar I. Janowsky ,The Rise of State of ISRAEL in The Jews :Their Role in Schocken Books, 1974), P 296-300.؛(New York: civilization

(محاربة الأفكار الرافضة لها) مرتكز أساسي في سياسية النخب السياسية في داخل وخارج "إسرائيل"[1].

واخيرً يمكنّ القول؛ إنّ تأصيل الواقع يجتزء من الفكر الجمعي معنى ذو ابعاد احادية المعنى، تحرير الفكر الفردي، لدى الأفراد اليهود جعل من الفرد ينظر إلى كل فعل يحدث في المحيط الذي يعيش فيه لا يعدوا إلا أن يكون ردت فعل عكسية نتيجة انغماس الذات اليهودية من الذات الإنسانية أدى إلى غضب الرب من اليهود، بعد أن وظفت الأصولية الصهيونية حادثة "الهولوكوست" للاهوتيًا منحتها بعد سياسي أيديولوجي، يوفر غطاء فكري يعبر عن نجاعة المشروع الذي قادته الصهيونية للتعريف عن قسوة وحقد الأممية تجاه اليهود وما يمكن أن يفعلوا بهم، من خلال إثارة العواطف في وجدان الفرد اليهودي عبر سرد الأحداث الدموية التي طالت اليهود على مر السنين، السردية التاريخية خلقت ازمة الفكر اللاهوتي وهشاشة البناء القيمي للرؤية الأصولية كما على حساب هيمنة وسطوة الفكر المادي على الفرد اليهودي في داخل "إسرائيل"، مما يجعل كل فكرة هي معضلة بذاتها، ادلجة أفراد فاقدين للوجود اللاهوتي وباحثين المعنى القيمي[2].

---

[1] أرائيل لفيتا، النظرية العسكرية الإسرائيلية : دفاع و هجوم(عمان: دار الجليل، 1990)، ص 62-64.

[2] فيديريكو اللودى، "التحليل النفسي للصهيونية في سياق التاريخ والظروف"، ترجمة: احمد عكاشة، مجلة اتحاد الأطباء النفسيين، العدد2(القاهرة:2017)، ص 182-185.

الخاتمة

يتضح مما سبق؛ إنّ المشروع الاصولي الصهيوني تأثر بشكل مباشر في نشاءتهُ وقيامهُ على نزعة الفكر المادي القيمي الثقافي الغربي، فقد تبلورة ملامحهُ من خلال النزعة المادية خاصة منها الفرنسية، التي رأتّ في وجودها أمر بنيوي وحدوي ذو ابعاّد ثقافية أكثر منها قيمية، هذا الامر أثر بشكل مباشر على تراكبية الفرد في دائرة تفاعله المتمثلة في المجتمع "الإسرائيلي"، إذ اضحى الفرد اليهودي يخضع لازدواجية المعاير في التنشئة والوجود المادي ما بين الفكر اللاهوتي للحاخامات اليهود في داخل المدارس الدينية والأفكار المادية التي يمكنّ الإشارة اليها بدلالة (الفكر العلماني المجرد).

حيثُ تجد فر رافضّ للتعاليم اللاهوتية واخر متمسكّ بقيم للاهوتية يرى ما دونّ هذه الأفكار لا يعد إلا أنّ يكون مجرد تسخير مباشر لأنها وجود ذاتي فردي، استغلال الرؤية اللاهوتية وفق الرؤية الأصولية للجماعات اليهودية أولجتّ شرخّ فكري عميق ادى إلى تعميق الهوة بين اليهودي ذاتهُ والتعاليم الالهية (التوراتية)، مما يؤخر الخلاص اليهودي، فضلاً عنّ إنّ الفكر السياسي في داخل "إسرائيل" أوجد حالة من التناقضّ بين المعنى واللامعنى في وجدان الفرد اليهودي.

تمثلّ في استغلال الوازع اللاهوتي في تبرير الممارسات التي تقوم بها النخب السياسية داخل "إسرائيل" وهذا ما يلاحظ من خطابات قامّ بها رئيس الوزراء "الإسرائيلي" بنيامين نتيناهو، بأنّ الحرب التي تُشنّ ضد اليهود هيَ حرب مُعتقدّ،

عندما اشار في اكتوبر من العام الماضي إلى تحقيق نبوءة اشعيا وما رافقها من زحف وتقدم الجيش "الإسرائيلي" في ضمّ الاراضي السورية، بهدف تحقيق دولة "إسرائيل الكبرى"، ادى هذا الامر إلى تقوقع الفرد اليهودي على ذاتهُ، تبرير للاهوتي يأخذ منحى أيديولوجي، يُمثلّ استغلال للفكر المقدسّ بهدف تحقيق وعد مادي غائي للمشروع الاصولي، ادت إلى فقدان الثقة بين الفرد اليهودي والمؤسسة المادية "الإسرائيلية"، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات، تمثلتّ فيّ:

1. الفكر الاصولي الصهيوني هوَ نتاج للفكر الغربي وليس نتاجّ للفكر اللاهوتي اليهودي.
2. الفكر اللاهوتي اليهودي يمثلّ حلقة فكرية شرقية، تبلوا ونشاء في العراق في مدينة بابل.
3. المادية؛ أفكار انسانية تبنتّ رؤية أيديولوجية اخذت غطاء للاهوتي، جعلت من التعاليم التوراتية تفقدّ معناها الوجودي، لدى الفراد اليهود.
4. جدلية الأفكار ولدتّ حالة من الاغتراب والاستلاب لدى الجماعات الأصولية اليهودية والصهيونية على حد سوى.
5. هنالكَ ارتباط وثيق من حيثيات المفهوم بين الأصولية اليهودية والصهيونية، الاختلاف ناجمّ عن التطبيق، فكلّ منهما تُفسر النصوص التوراتية بطريقة مغايرة عن الاخرى.

6. الأصولية الصهيونية فكرة نافذة عن الشريعة اليهودية، ذات ارتباطات مسيحية، وقد تمثلّ مستقبلاً تيار اسلامي صريح ومعلنّ عنهُ في الكنيست "الإسرائيلي" أو اماكنّ صناع القرار السياسي في داخل "إسرائيل".

قائمة المصادر

أولا: المصادر اللاهوتية (الدينية)

1. الاسفار اللاهوتية

- سفر اخبار الايام الثاني
- سفر التثنية
- سفر التكوين
- سفر الخروج
- سفر الرؤيا
- سفر القضاة
- سفر اللاوين
- سفر الملوك الثاني
- سفر حزقيال
- سفر دانيال
- سفر زكريا
- سفر عاموس
- سفر ملاخي
- سفر نشيد الأناشيد
- سفر يشوع

- سفر يوحنا اللاهوتي

2. الاناجيل اللاهوتية

- انجيل متى

ثانيًا: الموسوعات

1. ميخائيل مينا، موسوعة علم اللاهوت: اشهر الاختلافات العقدية والطقسية بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية، تعليق: ميخائيل مكسى اسكندر، ج4(القاهرة: مكتبة المحبة - سلسلة شرح كتب التراث القبطي، 1956).

2. هنري لورنس، مسألة فلسطين: اختراع الأرض المقدسة١٧٩٩_١٩٢٢، ترجمة: بشير السباعي(القاهرة: المركز القومي للترجمة (1027)، 2006).

ثالثًا: الكتب

1) آ. كوهن، التلمود عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول: "الاخلاق، الادب، الدين، التقاليد، القضاء"، ترجمة: سليم طنوس(بيروت: دار الخيال للنشر، 2005).

2) احمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2000).

3) أرائيل لفيتا،النظرية العسكرية الإسرائيلية : دفاع و هجوم(عمان: دار الجليل، 1990).

4) اسحق جرينفيم، الحركة الصهيونية، ترجمة : جودت السعد (الاردن: دار الجاحظ للنشر والتوزيع، 1948).

5) إميل أمين، ذئاب في ثياب حملان مختصر قصة الأصولية الأمريكية(القاهرة: دار المريخ للنشر، 2005).

6) الان رتايلر، مدخل إلى إسرائيل، ترجمة: شكري محمود نديم(بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1965).

7) اندرية دوبون وسومر مارك فيلوننكو، الكتب الأسينية: كتابات ما بين العهدين مخطوطات قمران_البحر الميت، ترجمة: موسى ديب، ج1 (دمشق : دار الطليعة الجديدة، 1998).

8) انطوان فيسل، التوراة،الإنجيل،والقران: ثلاث كتب مدينتان قصة واحدة، ترجمة: حسني زينة(بيروت: منشورات الجمل، 2015).

9) ايان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ترجمة: حسني زينة(بيروت: مركز الدراسات الفلسطينية،1991).

10) إيلان هاليفي، رهاب الدولة الاسلام وارهاب اليهودية الصورة في المرآة، ترجمة: سناء الصاروط(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2017).

11) ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقيتا الأخلاق، ترجمة: عب الغفار مكاوي(القاهرة: الدار القومي للطباعة والنشر، 1965).

12) ايمانويل كانط، ثلاثة نصوص: تأملات في التربية ماهي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟، ترجمة: محمود بن جماعة(تونس: دار محمد علي، 2015).

13) ايمانويل كانط، نقد العقل العملي، ترجمة: غانم هنا(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008).

14) باروخ كيمرلينغ، المجتمع الإسرائيلي مهاجرون مستعمرون مواليد البلد، ترجمة: هاني العبدالله(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011).

15) بنيامين نتنياهو، مكان تحت الشمس، ترجمة: محمد عودة الدويري(عمان: دار الجليل للنشر، 2015).

16) توما الاكويني، كتاب الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: الخوري بولس عواد(بيروت: المطبعة الأدبية، 1881).

17) ج. هـ. جانسن، الصهيونية وإسرائيل واسيا، ترجمة: راشد حميد(بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، 1972).

18) جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني: مع مناقشة بين سارتر والكاتب الماركسي م. نافيل، ترجمة: عبد المنعم حنفي(بيروت: منشورات الجمل، 1964).

19) جان بول سارتر، تعالي الأنا موجود، ترجمة: حسن حنفي(بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2005).

20) جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمة: عبد العزيز لبيب(القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011).

21) جنفياف روديس لوريس، ديكارت والعقلانية، ترجمة: عبده الحلو(بيروت – باريس: منشورات عويدات، 1988).

22) جورج مارسدن، كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والايڤانجليكية، ترجمة: نشأت جعفر(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2000).

23) جون لوك، الحكومة المدنية: وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، ترجمة: محمود شوقي الكيال(القاهرة: مطابع شركة الاعلانات الشرقية).

24) جون لوك، رسالة في التسامح: ترجمة: منى أبو سنه(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997).

25) چان ڤال، الفلسفة الفرنسية: من ديكارت إلى سارتر، ترجمة: فؤاد كامل(القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1980).

26) ديتر تسمرلنغ، النهايات: الهوس الوجودي الألفي، ترجمة: ميشيل كيلو وزياد منى(دمشق: دار قدمس للنشر، 1999).

27) ديڤيد لاندو، الأصولية اليهودية، ترجمة: مجدي عبد الكريم(القاهرة: مكتبة مدبولي،1994).

28) روجيه جارودي، ملف إسرائيل: دارسة للصهيونية السياسية، ترجمة: مصطفى كامل(القاهرة: دار الشروق،1983).

29) روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية(القاهرة: دار الشروق، 1998).

30) روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية(القاهرة: دار الشروق، 1998).

31) رينيه ديكارت: التأمل في الفلسفة الأولى، ترجمة: عثمان أمين(القاهرة: المركز القومي(1297)،2009).

32) رينيه ديكارت، قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة: سفيان سعد الله(تونس: دار سراس،2001).

33) زفي فيربلوفسكي، من الفكر الصهيوني المعاصر، ترجمة: مركز الدراسات الفلسطينية(بيروت: مركز الدراسات الفلسطينية، 1968).

34) شمعون بيريز، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة: محمد حلمي(عمان: الاهلية للتوزيع والنشر، 1994).

35) صامويل هنتغتون، صدام الحضارات، ترجمة: طلعت الشايب وصلاح قنصوه(نيويورك:مركز روكفلر، 1999).

36) صامويل هنتغنجتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط2(بغداد: دار سطور، 1999).

37) صبري جريس، تاريخ الصهيونية(بيروت: مركز الدراسات الفلسطينية، 1977).

38) غريس هالسل، يد الله، ترجمة: محمد السماك(القاهرة_بيروت: دار الشروق للنشر، 2000).

39) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الاخير، ترجمة: فؤاد شاهين واخرون(بيروت: مركز الأنماء القومي، 1993).

40) الفريد ليلينتال، ثمن إسرائيل، ترجمة: حبيب نحولي وياسر هواري (بيروت: منشورات دار الافاق الجديدة، 1981).

41) فولتير، رسائل فلسفية، ترجمة: عادل زعيتر(بيروت: التنوير للطباعة والنشر، 2014).

42) فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة: يوسف نبيل(لندن: مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017).

43) كارل ماركس، حول المسالة اليهودية، ترجمة: نائلة الصالحي(بيروت: منشورات دار الجمل للنشر،2017).

44) كارلوتا جيزن، معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب، ترجمة: احمد علي(القاهرة: دار الكتاب العربي، 2002).

45) كارين آرمسترونغ، النزاعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: محمد الجورا(دمشق: دار الكلمة للنشر، 2005).

46) كيت ماجواير، تهويد القدس: الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس (بيروت: دار الافاق الجديدة للنشر،1981).

47) لودفيغ فيورباخ، أصل الدين، ترجمة: احمد عبد الحليم (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1991).

48) ليني برينر، حركة التصحيح الصهيونية : من عهد جابوتنسكي إلى عهد شامير، ترجمة: دار الجليل(عمان: دار الجليل للنشر،1990).

49) ليو شتراوس وجوزيف كروسبي، تاريخ الفلسفة السياسية: من جون لوك إلى هيدجر، ترجمة محمود سيد احمد، ج2(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).

50) ليونيل دادياني، الصهيونية على لسان قادتها: التصدي والواقع، ترجمة: دار الثقافة(القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1988).

51) مادلين اولبرايت، الجبروت و الجبار : تأملات في السلطة و الدين و الشئون الدولية، ترجمة: عمر الايوبي (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006).

52) مارتن لوثر، اليهود واكاذيبهم، تقديم: محمود النجيري(القاهرة: مكتبة النافذة، 2007).

53) مارتن هيدجر، الفلسفة: الهوية والذات، ترجمة: محمد مزيان(تونس: كلمة للنشر والتوزيع، 2015).

54) مارتن هيدجر، الكينونة والزمان، ترجمة: فتحي المسكيني(طرابلس: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008).

55) مارسيليو سقيرسكي، ما بعد المجتمع الإسرائيلي نحو تحول ثقافي، ترجمة: سمير عزت (روما: دار منشورات المتوسط للنشر، 2014).

56) مجموعة من الكتاب السوفيت،الصهيونية نظرية وممارسة،ترجمة: يوسف سلمان(بيروت: دار الطليعة، 1974).

57) مجموعة مؤلفين، فهم التلمود مختارات مع مقدمات، تحرير: ألان كوري، ترجمة: سامي محمود الإمام(القاهرة: المركز القومي للترجمة(2240)، 2017).

58) مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعتر، ج1(القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).

59) مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعتر، ج2(القاهرة: دار المعارف، 1954).

60) نورالدين مصالحه،إسرائيل الكبرى والفلسطينيون : سياسة التوسع (1967- 2000)، ترجمة: خليل انصار(بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،2001).

61) هنري عبودي، معجم الحضارات السامية(بيروت_طرابلس: دار جروس بروس للنشر، 1991).

62) ول وايرل ديورانت، قصة حضارة، ترجمة: محمد علي أبو درة، ج2(تونس – بيروت: النهضة العربية للتربية والثقافة والتعليم).

63) يعقوب فالكين، اليهود والعلمانية، ترجمة: احمد كامل (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية للنشر،2003).

64) يورغن هابرماس، الفلسفة الالمانية والتصوف اليهودي،

ترجمة: نظير جاهل(الرباط: المركز الثقافي العربي، 1995).

رابعًا: الدوريات العلمية

1. رومان برودسكي، "الحقيقة حول الصهيونية"، مركز الأبحاث الفلسطينية، العدد52(بيروت:1975).

2. فيديريكو اللودى، "التحليل النفسي للصهيونية في سياق التاريخ والظروف"، ترجمة: احمد عكاشة، مجلة اتحاد الأطباء النفسيين،العدد2(القاهرة:2017).

3. مكسيم رودنسون، "أفكار بسيطة بشأن معاداة السامية"، ترجمة: صفاء كنج، مركز الدراسات الفلسطينية، العدد120(بيروت:2019).

خامسًا: المصادر الانجليزية

1. **Chaim weizman, Trial and Error: The Autobigraghy of chaim weizmang(New York: Harper and Row,1949).**

2. **Oscar I. Janowsky ,The Rise of State of ISRAEL in The Jews :Their Role in civilization (New York:‹Schocken Books, 1974).**

3. **William Frankel , Israel observed ,(London: Themesand and Hudson , 1980).**

السيرة الذاتية للكاتب

عماد علي حمد؛ هوَ كاتب وروائي عراقي من مواليد الرابع من مارس للعام (1996م)،حاصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية جامعة تكريت سنة(2019م) بتقدير جيد جدًا دور أول، ومشاركٌ في ملتقى الابداع الطلابي الحادي والعشرون في دولة الامارات العربية المتحدة (جامعة العين للعلوم والتكنلوجيا) الموسوم بعنوان (ريادة الاعمال)، تناولت الدراسة تأثير العامل القبلي على سلوك الناخب، بهدف بيان معالم القبلية وكيف أرستّ وادلجة جوانب مظلمة للديمقراطية في ظل الانتخابات البرلمانية العراقية للعام2018م، للعام الدراسي 2018-2019.

ايضًا، حاصلّ على درجة الماجستير في العلوم السياسية_فكر سياسي جامعة تكريت – كلية العلوم السياسية للعام الدراسي 2021-2022م مشروع الماجستير تناولّ، الجدل الديني اليهودي والصهيوني حول مشروعية واحقية قيام "إسرائيل: بين الفرق اللاهوتية اليهودية والصهيونية.

مؤلف للعديد من الأبحاث في المجلات المحلية والعالمية، وحاصلّ على العديد من الشهادات من مُختلف دول العالم، منها، هيَ:

1. الولايات المتحدة الامريكية(15 شهادة تقديرية-عن البُعد السيكولوجي / مع نشر كتاب فلسفة قيام الدولة "الإسرائيلية" في مكتبة نيويورك العامة).
2. اليابان (6 شهادات تقديرية- عن التأثيرات الاقتصادية واثرها في البُعد المجتمعي).
3. روسيا(نُشر فيها كتابين – ادارة المخاطر والأصولية اليهودية).

مؤلفات الكاتب

❖ كتب الفكر السياسي، هيَ:

1. فلسفة قيام الدولة الإسرائيلية الحركات اليهودية والصهيونية.
صادر عن دار العربي للنشر والتوزيع(مصر)

2. الارهاب اليهودي والصهيوني في الفكر الإسرائيلي: مأزق إدارة التنوع.
صادر عن دار النُهى للترجمة والنشر والتوزيع (الجزائر)

3. إدارة المخاطر في الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر: رؤية استشرافية.
صادر عن دار تفاصيل للنشر والتوزيع(مصر)

4. الأصولية اليهودية والأصولية الصهيونية: عقيدة التدبير الإلهية... جدلية رؤية الميسيا.
صادر عن دار تفاصيل للنشر والتوزيع(مصر)

5. مخطوطات تقسيم الشرق الأوسط من المنظور الاصولي الماسوني: رؤية فكرية معاصرة في نبوءة اشعياء.
صادر عن دار الراوى للنشر والتوزيع(مصر)

6. ناطوري كارتا في الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر: ازدواجية الفكر الاصولي.
صادر عن دار النُهى للترجمة والنشر والتوزيع (الجزائر)

7. جدلية الذاكرة التأريخية وأزمة الهوية في الفكر الإسرائيلي المعاصر.
صادر عن دار النُهى للترجمة والنشر والتوزيع (الجزائر)

❖ الكتب الفلسفية والأدبية، هيَ:

1. الانسلاخ من الذات: رواية في فلسفة الدين والمنطق.

صادر عن دار **Dar Elkitab Elmouassir Aissani** (الجزائر)

2. كتاب: (صكوك الخطيئة – باللغة العربية).

صادر عن دار الابداع للطباعة والنشر(العراق).

3. كتاب: (حقيقة الإثم).

صادر عن دار الراية للطباعة والنشر (مصر).

4. كتاب: الإنسان تحرر أمّ تفكك.

صادر عن دار النُهى للترجمة والنشر والتوزيع (الجزائر)

5. كتاب: هرمنيوطيقا الجسد والروح: كيف يتشكل الفكر الإنساني

صادر عن دار الحكمة للنشر والتوزيع (بريطانيا)

6. **THE DEEDS OF SIN**

صادر عن دار النُهى للترجمة والنشر والتوزيع (الجزائر)

الفهرس

الإهـداء 5

المقدمة 7

أولا: أهمية الدراسة 9
ثانيًا: إشكالية الدراسة 10
ثالثًا: فرضية الدراسة 11
رابعًا: اهداف الدراسة..... 11
خامسًا: منهجية الدراسة..... 12

الفصل الأول ماهية الأفكار المادية..... 13

أولا: الدلالات المادية 13
ثانيًا: إسقاطات النقد البنيوي..... 28

الفصل الثاني الرؤية المادية في الفكر الأصولي الصهيوني 45

أولا: الحرية 45
ثانيًا: المواطنة 52
ثالثًا: المساواة..... 56
رابعًا: التعايش 61
خامسًا: الايديولوجية - الدين 65

الفصل الثالث الرؤية المادية في الفكر الأصولي اليهودي..... 72

أولا: شعب الله المختار..... 72
ثانيًا: أرض الميعاد..... 79
ثالثًا: السامية – اللاسامية 88
رابعًا: دلالات الشتات 94
خامسًا: الميسيا (جدلية الخلاص) 99

الفصل الرابع جدلية الفكر المادي في المجتمع "الإسرائيلي" 106

أولا: التأثير النسقيّ 107
ثانيًا: تأثير عامودي..... 111

الخاتمة..... 117

قائمة المصادر 121

السيرة الذاتية للكاتب 133

مؤلفات الكاتب 135

الفهرس 137

المادية النقدية الفرنسية
وأثرها في تشكيل
الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر

كتاب "المادية النقدية الفرنسية وأثرها في تشكيل الفكر السياسي الإسرائيلي المعاصر" للأستاذ عماد علي حمد.
رحلة فكرية عميقة تكشف جذور المادية النقدية في الفكر الفرنسي، وتفكك آليات تأثيرها على بنية الفكر الأصولي الصهيوني.

بأسلوب تحليلي يجمع بين العمق الأكاديمي والدقة التاريخية، يربط المؤلف بين التحولات الفلسفية الغربية وأثرها على السياسات والمجتمع في "إسرائيل"، كاشفًا أبعاد الصراع بين المادية واللاهوت، وبين الفلسفة والسياسة.

هذا العمل يقدم رؤية نقدية جريئة لفهم جذور النزاعات الفكرية والسياسية المعاصرة، ويضيء الطريق للباحثين والمهتمين بقضايا الفكر السياسي والنقد الفلسفي.